مجلـــة كليـــة العلوم الاسلاميـــــــة
العدد(٦٤) ١٢ جمادي الأول ١٤٤٢هـ / ٣١ كانون الأول ٢٠٢٠م

التعليل الصوتيّ لقلب الألف همزة
بين القدماء والمحدثين
(التعليل، قلب الألف، الهمزة، اجتلاب)

المدرس ناهدة غازي علوا
جامعة بغداد
كلية التربية للعلوم الصرفة
(ابن الهيثم)

الاستاذ الدكتور كاطع جارالله سطام
الجامعة المستنصرية
/ كلية الآداب

Explanation of the sound of the inverted of Alalf Hamza
Between the ancients and modernists
(Reasoning, Hamzah, Ghabab)

T . Nahida Ghazi Alwan
College of Education for Pure Science /
Ibn Al-Haitham, University of Baghdad
AD. Gatea Jarallah Sattam
College of Arts, Mustansiruyah University

ملخص البحث

جاء الدرس الصوتي الموروث زاخرا بالتعليل الصوتي لظاهرة تحقيق الهمزة أو تخفيفها ولكنه تعليلٌ قائم على وصف الظاهرة أكثر من البحث في العلاقات الصوتيَّة التي تحكم ظهور التحقيق أو التخفيف، ولهذا خالف الدرس الصوتي الحديث ما جاء به المتقدِّمون في هذا الشأن. وهذا البحث يكشف مظاهر الاختلاف بين القدماء والمحدثين في التعليل الصوتي لطائفة من أنماط ظاهرة تحقيق الهمزة. ولكثرة مسائل الهمزة محققة أو مخففة آثرنا الوقوف في بحثنا هذا عند التعليل الصوتي لنمط واحد منها هو تحقيق الهمزة المبدلة من الألف، وهذا القلب أقرّه القدماء وعللوا له بعلل كثيرة، لكنّ المحدثين لم يقرّوا المبادلة بين الهمزة والألف أصلا لاختلافهما في المخرج والصفة ولذا جاء التعليل الصوتي الحديث لهذا النمط من تحقيق الهمزة مختلفا عمّا أثر عن القدماء لاختلاف زاوية النظر في تحديد المشكل الصوتي، وجاء مختلفا أيضا لدى المحدثين أنفسهم الذين تعددت أقوالهم وتشعبت في إعادة التحليل والتعليل لما جرى من تحقيق للهمزة في هذا النمط، أحدث ذلك بقلب الألف همزة كما ذكر القدماء أم بحذف الألف واجتلاب الهمزة كما قال المحدثون أم غير ذلك؟.

الكلمات المفتاحية: التعليل الصوتي، القدماء، المحدثين، الهمزة.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين وآله الطيبين الطاهرين ومن صحبه بإحسان إلى قيام يوم الدين وبعد.

فقد عُني علماء العربية بدراسة مسائل الإعلال دراسة عميقة لا سيما ما يتعلّق منها بمسائل الهمزة تخفيفا أو تحقيقا؛ لأنهم أدركوا أنّ مشكلة الهمزة في العربية كبيرة سواء في النحو والصرف والأصوات ولذا بحثوا في أصلها واستعمالاتها، ودرسوا مخارجها وصفاتها، وأفردوا لها أبوابًا وفصولًا في مؤلفاتهم النحويَّة والصرفيَّة.

أمّا لدى المحدثين فقد حظيت مسألة الهمزة بدراسات كثيرة أهمّها دراسة الباحثة ناهدة علوان غازي التي عنوانها (الهمزة في العربية دراسة لغوية) وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة بغداد في عام ١٩٩٥م. وهذه الدراسة اصطبغت بصبغة وصفية تراثية جمعت أقوال القدماء وحللتها تحليلا يمازج بين النحو والصرف والمعجم ولكنّها أغفلت التطرق إلى مسائل التعليل الصوتي لتحقيق الهمزة بين القدماء والمحدثين، ولذا اخترنا هنا أن نبحث جانبا من التعليل الصوتي لمشكلة تحقيق الهمزة بين القدماء والمحدثين. أي إنّ هذا البحث يأتي متمما لما دُرس قبل أكثر من ربع قرن بعد أن ألّف المحدثون كتبا كثيرة في علمي الأصوات النطقي والوظيفي اشتملت على الكثير من التعليل الصوتي الخاص بظاهرة الهمزة. فتبيّن من خلال هذه المؤلفات الكثيرة أنّ المحدثين اتّجهوا في تعليلاتهم لظاهرة تحقيق الهمزة توجيها يختلف عمّا أثر عن القدماء، ثمّ إنهم اختلفوا فيما بينهم أيضا في هذا التعليل الجديد.

ولا يعني هذا أن دراسات القدماء جاءت خالية من التعليل الصوتي لظاهرة الهمزة تحقيقا أو تخفيفا بل حاول علماء العربيَّة المتقدِّمون تعليل ظاهرتي التحقيق والتخفيف، غير أنَّه تعليلٌ يُنزَعُ إلى وصف الظاهرة أكثر من البحث في العلاقات الصوتيَّة التي تحكم ظهور

التحقيق أو التخفيف، لهذا نجد المحدثين قد خالفوا كثيرًا ما جاء به المتقدِّمون في هذا الشأن. ولهذا لا بُدَّ من الكشف عن ذلك، مع الترجيح وإبداء الرأي ليظهر التعليل أقرب إلى الواقع اللهجيِّ المنطوق.

ولكثرة مسائل الهمزة محققة أو مخففة آثرنا الوقوف في بحثنا هذا عند التعليل الصوتي لنمط واحد منها هو تحقيق الهمزة المبدلة من الألف، فهذا الإبدال إنّما هو بحسب رأي القدماء؛ لأن المحدثين لم يقرّوا المبادلة بين الهمزة والألف أصلا لاختلافهما في المخرج والصفة. فجاء التعليل لهذا النمط من تحقيق الهمزة مختلفا بين القدماء والمحدثين أولا لاختلاف زاوية النظر في تحديد المشكل الصوتي، وجاء مختلفا أيضا لدى المحدثين أنفسهم الذين تعدّدت أقوالهم وتشعّبت في إعادة التحليل والتعليل لما جرى من تحقيق للهمزة في هذا النمط ، هل حدث بقلب الألف همزة كما ذكر القدماء أم بحذف الألف واجتلاب الهمزة أم غير ذلك؟ .

توطئة

وصف الهمزة قديما وحديثا.

رأى علماء العربية القدماء أنَّ الهمزة صوت شديد مجهور[١]، ومخرجها من أوَّل مخارج الحلق ممَّا يلي الصدر، فقال الخليل: "وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة، فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياءَ والواوَ والألفَ عن غير طريق الحروف الصحاح"[٢]. وشايع سيبويه استاذه فقال: "ولحروف العربيَّة ستَّة عشر مخرجًا، فللحلق منها ثلاثةٌ، فأقصاها مخرجًا: الهمزة، والهاء، والألف"[٣]. وقريب من هذا سائر أقوال علماء العربية القدماء[٤].

أمَّا المحدثون فعلى الرغم من كثرة التجارب المخبرية التي تهيّأت لهم في دراستهم الهمزة نجدهم على فريقين في تحديد صفة الهمزة:

الأول: يرى أنَّ الهمزة صوت شديد مهموس، وعلى هذا جان كانتينو[٥]، والدكتور تمَّام حسَّان[٦]، واعتمدا على إنّ اهتزاز الوترين معدوم مع نطق الهمزة فهي صوت مهموس إذن.

والآخر: يرى أنَّ الهمزة صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس، وعلى هذا الدكتور محمود السعران[٧]، والدكتور إبراهيم أنيس[٨]، والدكتور كمال بشر[٩]، والدكتور عبده الرَّاجحيِّ[١٠]. وحجَّة هذا الفريق هي أنَّ الهمزة حين نطقها يكون الوتران الصوتيان غير متباعدين ولا مهتزين بل ينطبقان فيسدَّان فتحة المزمار. وعدَّ هذا الفريق فتحة المزمار هي مخرج الهمزة[١١].

وفي نطق العرب للهمزة خلاف بينهم، فمنهم من يحقِّقها من دون تغيير يطرأ على النطق بها، ومنهم من يُخَفِّفُها بأحد أوجه التخفيف الثلاثة ، قال سيبويه: "اعلم أنَّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل. فالتحقيق قولك: (قَرَأْتُ، ورَأْسٌ، وسَأَلَ، ولُؤْمٌ، وبُئْسٌ)، وأشباه ذلك. وأمَّا التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين، وتُبدَّل، وتحذف"[١٢].

والمراد بتحقيق الهمزة إظهارها وإعطاؤها حقَّها من الإشباع، وعَّده الرضي (٦٨٦هـ) هو الأصل كسائر الحروف[١٣]. غير أنَّ إظهار الهمزة وتحقيقها لا ينحصر في وجود الهمزة في أصل اللفظ، إنَّما يشمل الهمزة الناشئة من إعلال أو إبدال، فهذا يُسمَّى تحقيقٌ أيضًا.

والمستحسن هو تخفيف الهمزة في لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، والحجة لدى المخففين هي أنَّ الهمزة "لمَّا كانت أدخل الحروف في الحلق، ولها نبرة كريهة تجرى مجرى التهوُّع ثقلت بذلك على لسان المتلفِّظ بها، فخفَّفها قوم وهم أكثر أهل الحجاز ولا سيما قريش"[١٤]. وفي تخفيفها ثلاثة أوجه: الحذف، والإبدال، وأن تُجْعَل (بينَ بين)، أي: أن نطقها يكون بين مخرجها وبين مخرج الحرف الذي منه حركتها[١٥]. أمَّا في لغة قيس وتميم فالقياس هو تحقيق الهمزة لأنّها من حروف المعجم، فتأدية الأصل فيها كتأديته في غيرها[١٦].

والهمزة في الدرس الصوتي القديم تقلب من الياء، والواو، والألف، سواء كانت أصليَّة أم زائدة، قال ابن جني (٣٩٢هـ): "فهذه جملة من القول على انقلاب الألف همزة،[...]، وأمَّا إبدال الهمزة عن الياء والواو، فعلى ضربين، تُبدَّل الهمزة منهما وهما أصلان، وتُبدَّل منهما وهما زائدتان"[١٧]. وذكروا أيضا أنّ هذا القلب بأنواعه الثلاثة يكون على ثلاثة أنواع: واجب، وجائز، وشاذّ (سماعيّ)[١٨].

أي إن قلب الألف همزة يأتي واجبا وجائزا وشاذّا، وقد تعدّدت أقوال القدماء والمحدثين في تعليل هذه القلب فضلا عن خلافهم في أصل وجوده وحدوثه .

المطلب الأول

التعليل الصوتي لقلب الألف همزة وجوبا

المأثور من مسائل قلب الألف همزة قلبا واجبا في الدرس الصوتي القديم مسألتان هما:

الأولى: إذا وقعت الألف بعد ألف الجمع مفاعل وهي مدّة زائدة في المفرد قلبت همزة، نحو (رسالة رَسائِل)، (قِلادة قَلائِد)، (وسادة وسائد). قال ابن السراج (٣١٦هـ): "وكذلكَ الألفُ الزائدةُ إذَا وقَعَتْ بعدَ أَلفٍ نحو أَلفِ رِسَالةٍ إذَا جمعتَها قلتَ: (رَسَائِلُ)؛ لأَنَّ الألفَ وقعتْ بعدَ أَلفٍ فهُمزت"(١٩).

وعلَّل ابن جني هذا التحقيق الهمزي بقوله: "وذلك أنَّك لمَّا جمعت (رِسالة) على (فَعائِل) جاءت ألف الجمع ثالثة ووقعت بعدها ألف (رِسالَة)، فالتقت ألفان، فلم يكن بدٌّ من حذف إحداهما أو تحريكها، فلو حذفت الألف الأولى لبَطُلَت دلالة الجمع، ولو حُذِفَت الثانية لتغيَّر بناء الجمع؛ لأنَّ هذا الجمع لا بدَّ له من أن يكون بعد ألفه الثانية حرف مكسور بينها وبين حرف الإعراب فيكون كـ(مَفاعِل). ولم يجز أيضا تحريك الألف الأولى مخافة أن تزول دلالتها على الجمع؛ لأنَّها إنَّما تدلُّ عليه ما دامت ساكنة على لفظها، ولو حُرِّكت أيضًا لانقلبت همزة وزالت دلالة الجمع، فلم يبق إلَّا تحريك الألف الثانية بالكسر؛ ليكون كعين (مَفَاعِل)، فلما حُرِّكت انقلبت همزة فصارت (رَسائِل) "(٢٠).

أي إنّ ابن جني عرض للإجراءات الصوتية المحتملة التي يمكن اللجوء إليها في التخلص من التقاء الساكنين وهما الألفان (ألف الجمع وألف المفرد) فأسقط تلك الاحتمالات واحدا تلو الآخر ولم يبق منها إلا تحريك الألف الثانية بالكسر وهو تحريك آل إلى قلب الالف همزة ذلك أنّ هذا النمط من جمع التكسير لا بدَّ أن يكون الحرف الذي بعد ألفه الدالة على الجمع حرفا مكسورا، لكن تعليل ابن جني المذكور آنفا قد يفهم منه أنَّ التحريك بالكسر للألف الثانية جاء اضطرارًا أو طارئا لتقلب الألف الثانية همزة، إذ ليس هذا الكسر طارئا بل نابعا من صميم صيغة الجمع (مفاعل) التي توجب كسر الحرف

الذي يلي ألف الجمع فيها، وهذه الكسرة هي التي أدّت إلى قلب صوت الألف إلى همزة، أي إنّ تحقيق الهمز لم يُؤتَ به لغرض التخلُّص من التقاء الساكنين، بل هو واقع لغوي تفرضه طبيعة النطق بهذا النوع من الجمع الذي يلزم فيه تحريك ما بعد ألف الجمع بالكسر. وإلى هذا أشار ابن يعيش (٦٤٣هـ) في قوله: "وألفُ التكسير تُكسر ما بعدها من نحو: (جَعافِرَ)، و(زَبارِجَ)، و(بَراثِنَ)، والألفُ مَدة زائدة لا حظَّ لها في الحركة، فقُلِبت إلى أقرب الحروف إليها بما يمكن تحريكُه وهو الهمزة، فقالوا: (حَمائِمُ)، و(رَسائِلُ)، و(ذَوائِبُ)؛ لامتناع الحركة فيها"[٢١]. والأمثلة التي جاء بها ابن يعيش مكسورة ما قبل الآخر ممَّا يدلُّ على أنَّ الكسر أصلٌ في هذه الصيغة ولم يؤتَ به لإتقاء الساكنين.

ويبدو أنَّ نظرة المتقدِّمين لصوت الألف على أنَّه مدة زائدة لا يمكن تحريكه هو الذي جعل ابن جنيٍّ يفصل في التعليل لقلب الالف همزة، فإذا ما التقت ألفان في صيغة إثناء التعاملات الصرفية انصرفت أذهانهم إلى علَّة التقاء الساكنين، مع إنّ الألف في كلام العرب إنما هي حركة طويلة ليس بينها وبين الحركات القصيرة إلّا مدُّ الصوت، وعلى الرغم من اعترافهم بهذه الحقيقة لم يسعوا إلى الأفادة منها في تعليلاتهم الصوتية لما جرى ما ظاهره مبادلة بين الألف والهمزة أو بين الألف من جهة والواو والياء من جهة أخرى. فلجأوا إلى التعليل بتحريك الألف لقلبها همزة مع إن الألف حركة ابتداء فما الداعي إلى تحريك المحرك.

ثمّ قالوا: إنّ الممدود يجب أن تُسبَق بحركات من جنسها، وعلى رأيهم هذا لا يكون هناك التقاء لساكنين؛ لأنَّ الألف الثّانية – على حد رأيهم – مسبوقة بمصوت قصير (الفتحة) فكأنّ بين الألفين فتحة تحول دون القول بالتقاء الساكنين .

إن القول بإبدال الالف همزة على وفق التعليل بعلة التخلص من التقاء الساكنين هذه تبطل شرطا أقرّه القدماء قبل المحدثين في حصول المبادلة بين أصوات العربية وهو لا بدّ من توافر شرط التقارب الصوتي في المخرج أو الصفة بين الحرفين المتبادلين، فالقدماء

أنفسهم اشترطوا للإبدال بين صوتين وجود علاقة صوتيَّة بينهما تسوِّغ إحلال أحدهما محلّ الآخر. وقد نصَّ على هذا أبو علي الفارسيُّ (٣٧٧هـ) إذ قال: "القلب في الحروف إنَّما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال، والطاء، والتاء، والذال، والظاء، والثاء، والهاء، والهمزة، والميم، والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه. فأمَّا الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها"[٢٢]. وكان تلميذه ابن جني يرى أنَّ الإبدال لا يكون إلَّا في الأصوات المتقاربة المخارج[٢٣]. وقد تنبّه الرضي الاستربادي إلى هذا الشرط في حصول المبادلة بين الأصوات فزعم أن قلب الألف همزة إنما حصل في بعض مفردات العربية ليس تخلصا من التقاء الساكنين بل لقرب الألف من الهمزة في المخرج إذا قال: "وقالوا: لبَّأ الرجلُ بالحجِّ، وعن العجَّاجِ أنَّه كان يهمز العَالَم والخاتَم، وليس ذلك فرارًا من التقاء الساكنين، ولكن لتقارب مخرجي الألف والهمزة"[٢٤].

والدرس الصوتي الحديث أثبت بالدراسات المخبرية أنَّ لا علاقة صوتيَّة بين الألف والهمزة؛ فطبيعة أصوات المدِّ (الحركات الطويلة) أنَّها إنطلاقيّة تخرج من منطقة الفم بعيدًا عن الحنجرة والحلق واللهاة، وهي أصوات مجهورة، بل هي أعلى الأصوات إسماعًا، على حين نجد الهمزة صوتًا حنجريًّا إنفجاريًّا، وهو من أخفض الأصوات إسماعًا. إذن يمكن القول إنَّ هناك ما يشبه التعارض بين طبيعة الهمزة والألف، وهذا القول ينفي إمكانية الإبدال بين الصوتين[٢٥].لكنّ د.آمال الصّيد رأت أنَّ قول د.عبد الصبور شاهين في انتفاء العلاقة الصوتيَّة بين الهمزة وأصوات المدِّ أمرٌ لا يمكن قبوله على إطلاقه، وهو يناقض القول بأنَّ الهمزة يؤتى بها لوظيفة تقسيم مقطع أو قفل مقطع، وأنَّ هذه الوظيفة لا تُسَوَّغ إلّا إذا كان هناك علاقة صوتيَّة بين الهمزة وأصوات العلَّة. ودليلها على هذا أنَّ الهمزة عندما تُسَهَّل أو يُخفَّف نبرها تتحوَّل تلقائيًّا إلى صوت لين، وهذه عملية عكسيَّة للنَّبر، أي أنَّها تُعَدُّ فتحًا للمقطع لا غلقًا له[٢٦]. وإنَّ سقوط الواو والياء وإحلال الهمزة محلَّها لتقوية البناء المقطعي يعكس وجود العلاقة أيضًا بين الهمزة وهذه الأصوات. ولهذا

فإنَّ من يرفض العلاقة بين الهمزة وأصوات العلّة أو أشباهها يُعَدُّ في نظرها مجانبًا للصواب[٢٧]. وإلى مثل هذا ذهب د.عادل نذير[٢٨].

ويبدو أنّ العلاقة التي اشترطها د.عبد الصبور شاهين بين أصوات العلة هي تلك التي تمكِّن من وقوع الإبدال بين الهمزة والأصوات الطويلة؛ أي تغيير الشيء من غير إزالة ولا تنحية[٢٩]، فكأنَّ الصوت لم يؤتَ بغيره بديلًا؛ لقرب المخرج وتماثل الصفات؛ وهذا لم يتوفَّر بين الهمزة وأصوات العلَّة ليقال: إنَّ إبدالًا وقع بينها، ولهذا نجد أنَّ د.شاهين أجاز الإبدال بين أحرف العلَّة والحركات، فيرى أنَّ هذا الإبدال مقبول في منهج التحليل الصوتيِّ؛ لما بينها من علاقة صوتيَّة قويَّة، وهي التي توصل إلى تحويل حرف العلة إلى حركة بسيطة عن طريق اختصار المزدوج إلى أحد عنصريه[٣٠].

ولأجل هذا أرى أنَّ ما حصل في لفظة (رَسائِل) هو حذف للصائت الطويل الثَّاني الذي شكَّل قمَّة ثانية للمقطع، وهو ما لا تعرفه العربيَّة، ثمَّ تولُّد صوت الهمزة بسبب الانزلاق الحاصل من الفتحة الطويلة إلى الكسرة التي لزم وجودها في أصل الصيغة، كما في التشكيل:

قبل الجمع: (رِسالة) = [ر ـِ / س ـً / ل ـَ / ت ـُ ن]

الأصل المفترض للجمع: (رَسااِل) = [رَ / س ـً ـً ـِ / ل ـُ]

فالمقطع الثاني جاء غريبا عن مقاطع العربية لتتابع ثلاثة صوائت فيه أولها ألف الجمع مفاعل وثانيها ألف المفرد وثالثها الكسر التي تلزم الحرف الذي يرد بعد الف الجمع فكان ينبغي تصحيح المقطع بأن تسقط ألف المفرد (ـً) وهي الألف الثانية لأنها هي الوحيدة التي يمكن الاستغناء عنها في صيغة الجمع (مفاعل) إذ لا يمكن الاستغناء عن الألف الأولى والكسرة لأن معنى الجمع إنما يتحقق بهما معا ولهذا فإنّ المقطع الثاني عندما يؤول إلى (س ـً ـِ) لا يمكن تصحيح غرابته حينئذ بحذف صائت آخر منه بحجة توالي صائتين فيه بخلاف مقاطع العربية التي لا يكون فيها إلا صائت واحد، وإنما يكون

تصحيحه بشطره إلى مقطعين وذلك باجتلاب الهمزة تؤكأ وعمادا بين الألف والكسرة لأن الهمزة من الحيّز الذي يتولد فيه صوت الألف وهو حيّز الحنجرة وعند قطع النطق بصوت الألف تمهيدا للانتقال إلى الكسرة بعده يتولد صوت الهمزة تلقائيا. إي إنّ عملية اجتلاب الهمزة لم تأت عبثا واعتباطا بل جاءت نابعة من صميم التشكيل المقطعي لصيغة الجمع مفاعل إذ يستدعي هذا التشكيل الحفاظ على الألف والكسرة معا فلم يكن بدّ من تحقيق الهمزة بعد الألف تمهيدا لنطق الكسرة بعدهما وحينئذ ينشطر المقطع الثاني المصحّح إلى (س ـَ ـِ) إلى مقطعين أوّلهما طويل مفتوح هو (س ـَ) والآخر قصير مفتوح هو (ئ ـِ).

وقد عبّر المحدثون عن تحقيق صوت الهمزة تحقيقا تلقائيا لتصحيح المقطع الغريب هنا بالانزلاق من الفتحة الطويلة (الألف) إلى الصائت القصير(الكسرة) فهذا الانزلاق ولّد لنا صوت الهمزة؛ ففي "هذه الصورة للمزدوج يضعف وجود الانزلاق الذي ينشأ منه أنصاف الحركات (الواو، والياء) "[٣١]، ولذا نجد د.داود عبده يشير "إلى أنَّ ليس للهمزة صوت في حدِّ ذاتها، ولكن يستدل على وجودها أمَّا بالبدء المفاجئ للصوت الذي يليها أو الانتهاء المفاجئ للصوت الذي يسبقها"[٣٢].

وهنا ذهبت د.آمال الصيد إلى أنَّ الهمزة إنما أُجتُلِبت؛ لأنَّ التتابع الصوتيَّ في هذا الموضع من النوع الصَّائتيِّ، وأَطلَقَت عليه: (الصائت الطويل جدًّا)، ولكي يُتَخَلَّص منه أوتي بالهمزة لتصحيح البناء المقطعي، وأكَّدت أنَّ تحرُّك الهمزة بالكسر مطلوب بهذه الصيغة[٣٣]. وهذا ما أشرنا إليه.

وكان د.عبد الصبور شاهين قد جعل كلَّ تغيِّر يصيب لفظة بالهمزة من باب النبر، وعلَّل نبرهم هذا الموضع بالهرب من تتابع الحركات؛ إذ المتتابع فيه فتحتان طويلتان (رسالل)، ومن الصعب أن تعطي كلَّ ألف حقَّها في النطق، فمن الأفضل عنده نبر موضع الألف الثَّانية ثمَّ يُكْسَر النبر. لهذا يرى أنَّ من الصواب القول إنَّ الأصل في (فاعِل، ومَفاعِل) أن تكون بالياء، سواء كانت الياء من بنية الكلمة أم كان أصلها واوًا أم ألفًا أُبْدِلت الياء منهما،

ثمَّ يطرأ ذلك النبر الهمزيُّ لدى من يهمز، ويكتفي من لا يهمزون بالياء كما هي في الأصل. ويجد أنَّ هذا القول يخلِّصه من الافتراض بوجود ألفين وكسرٍ ليس له مسوِّغ صرفي(٣٤).

ولذا صرح د جعفر عبابنة القدماء حين أوقعوا بنية الجمع على بنية المفرد مباشرة؛ فيرى أنَّ هذا التغيِّر لم يكن في المفرد ذاته كتغيُّر (بَوَبَ) إلى (باب) من دون أن تخرج الكلمة عن أصل نوعها أو يتغير معناها، وأنكر د.عبابنة أن تكون صيغة الجمع مشتقَّة من صيغة المفرد، بل هما صيغتان مستقلتان(٣٥).

وقول د.شاهين في أصالة الياء في مثل هذه الصيغ لا يتعدّى المنظور الوصفي لهذه الحالة؛ فيرى أنَّ العرب الذين نطقوا هذا الجمع بالياء نطقوا على الأصل، ومنهم من غيَّر نحو الهمز. ويردّ على هذا بأن العربيَّ كان ينطق على غير هدى، ولم يُعرَف عن العربية أنَّها كانت تُنْطَق من دون نظام لغوي. فصيغة الجمع هي في ذهن المتكلِّم، وأنَّ العربيَّ يبني ألفاظه في الجمع عليها، والدليل على هذا أنَّ الصيغة واحدة أمَّا الألفاظ المبنيَّة عليها فهي كثيرة.

وهذا ما أكّده د.هنري فليش لما رأى أنَّ العربية تتجنَّب النطق بمجموعة مصوتات متَّحدة الطابع، ولهذا نرى العربيَّة وقد قَصُرَت إعراب جمع المؤنث السالم على صورتي الرفع والجر، وكذلك الحال في لاحقة المثنى(٣٦). فرأي هنري فليش هذا يكشف لنا حقيقة وجود الكسرة في صيغة (فَعائِل) في أصل الوضع؛ لأجل المخالفة التي يحدث معها تناسب صوتيّ ينتج منه خفَّة في اللفظ، فمبدأ التجانس بين الأصوات هو الذي يظهر مثل هذه الحركات في أصل الصيغة. أي إنّ الأصل في جمع مثل (رَسائِل) لا بدَّ أن تكون بألفين– وإن لم ينطق به العربيُّ– إذا ما حُمِل على نظير صحيح مثل جعفر، فجمعه: (جَعافِر)، ثمَّ جرى التغيير، أي: إنَّ اللفظ صار لعلَّة هكذا.

وكان ابن جنيٍّ قد أشار إلى هذه الحقيقة، فقد قال: "فهذا يُوهِم أنَّ هذه الألفاظ وما كان نحوها – مما يدعي أن له أصلًا يخالف ظاهر لفظه– قد كان مرة يقال، حتى إنهم كانوا يقولون في موضع قام زيد: (قَوَمَ زيدٌ)[...]، وليس الأمر كذلك بل بضدِّه. وذلك أنَّه لم يكن قط مع اللفظ به إلَّا على ما تراه وتسمعه. وإنَّما معنى قولنا: إنَّه كان أصله كذا: أنَّه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلَّل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا"[٣٧]. فإذا ما أخذنا بكلام د.شاهين ود.عبابنة نكون قد رفضنا أصلَّين من أصول اللغة العربيَّة وهما القياس والاشتقاق.

أمَّا وجود الكسرة في صيغة (فَعائِل) فليس من داعٍ أن نبحث عن سبب صرفي في وجودها كما يرى د.شاهين؛ لأنّها جزء من الصيغة، وأنَّ العربيَّ ملتزم بالبناء عليها.

وكان د.داود عبده قد أغرب كثيرا حين رأى أنَّ كلَّ ألفٍ زائدة هي في الأصل همزة، وعلى هذا فإنَّ الألف في (رِسالَة) عنده هي همزة في الأصل، وأنَّ الذي حدث هو سقوط الهمزة ومدُّ المصوِّت القصير. فعلى رأي د. عبده تكون (رسالة) في جمع (مَفاعِل) قد عادت إلى أصلها[٣٨].

أنَّ رأي د.داود عبده مبنيٌّ على لغة اتَّفق علماؤنا الأوائل على أنَّها نادرة وشاذَة، وكان الخليل قد جعلها ممّا غلط به العرب، فظلًا عن أنَّها لم تكثر كثرة توجب القياس عليها، ولأجله رفضها المازنيّ ولم يقبل القياس عليها. لهذا فإنَّ قول د.داوود عبده يبقى مجرَّد افتراض قابل للنقض.

الثانية: إذا اجتمعت ألفان في الطرف وكانت الثانية زائدة للتأنيث أو للإلحاق قلبت همزة.

رأى سيبويه في باب (ما لحقته ألف التأنيث بعد ألف) نحو: حَمراء، وصَفراء، وخَضراء، وصَحراء أنّ الهمزة "جاءت في هذه الأبنية كلَّها للتأنيث"[٣٩]. وهذا هو اختيار تابعي سيبويه الذين رأوا أنّ الهمزة في نحو (صحراء) بدلٌ من ألف التأنيث، كالتي في نحو

(حُبلى، وسُكرى)، وقد وقعت بعد ألف زائدة للمد، فالتقت ألفان زائدتان[٤٠]. فلم يكن من سبيل غير أن تُحذَف إحدى الألفين أو تُحَرَّك؛ لئلّا يلتقي ساكنان، وقد فات الحذف الأولى؛ لأنّه يُذهب بالمدِّ الذي جاءت من أجله؛ فقد بُنيَت الكلمة ممدودة، وحذف الثَّانية يُزيل علامة التأنيث، لهذا تعيَّن تحريك إحداهما، ولا يجوز في الأولى لأنَّها ستفارق المدّ، فوجب تحريك الثَّانية، فلمَّا حُرِّكَت انقلبت همزة[٤١].

والدليل على أنّ الهمزة الثانية منقلبة عن ألف بعد تحريكها كما يراه ابن جني هو "أنَّك إذا أزلت الألف من قبلها بقلبها خرجت هي عن الهمزة. وذلك قولهم في جمع (صَحراء: صَحارِيّ)، فهذه الياء الأولى المدغمة هي الألف التي كانت قبل الهمزة في (صَحراء) انقلبت في الجمع لانكسار ما قبلها، كما تنقلب في جمع (مِفتاح، وغِرْبال) إذا قلت: مَفاتيح، وغَرابيل"[٤٢].

ورفض ابن جنيٍّ القول بجواز أن تكون الهمزة مزيدة للتأنيث في (صَحراء) وأمثالها في أوَّل أحوالها وليست منقلبة عن ألف لسببين: أولهما: إنَّ العرب لم تؤنث بالهمزة في غير هذا الموضع، إنَّما يؤنثون بالتاء أو الألف، نحو: (حَمدَة، وقَائِمَة، وحُبلى وسُكرى)، فَفُسِّرت همزة التأنيث في نحو (صَحراء) وبابها على أنَّها بَدلٌ من ألف تأنيث أخرى. والآخر: لمَّا جمعوا بعض ما فيه همزة التأنيث أبدلوها في الجمع ولم يحقِّقوها البتَّة، وذلك قولهم في جمع صَحراء وصَلفاء: (صَحارِي، وصَلافِي)، ولم نسمعهم أظهروا الهمزة في شيء من ذلك، فلم يقولوا: (صَحارِئ، وصَلافِئ)، ولو كانت الهمزة فيهنَّ غير منقلبة لجاءت في الجمع، كما جاءت في قولهم: كَوكَب دَريء، كَواكِب دَرارِيء، وقرَّاء وقَرارِيء، فجاءوا بالهمزة في الجمع لمَّا كانت غير منقلبة، بل موجودة في قَرَأتُ ودَرَأتُ[٤٣].

وقد سبق القول إنَّ رأيهم هذا مبني على إنّ صوت الألف حرفٌ ساكن، ولهذا قالوا بالتقاء الساكنين. لكن ما ذهبوا إليه يناقض مسلَّمتين من مسلَّماتهم: الأولى: أنَّ كلَّ ألف لا بُدَّ أن تكون مسبوقة بحركة قصيرة (الفتحة)، وبهذا فلا التقاء لساكنين هنا. والأخرى:

قولهم بتحريك الألف وهي عندهم لا تكون إلّا ساكنة. ومن هنا اختار المحدثون تعليلا يختلف عمّا أثر عن القدماء في توجيه تحقيق الهمز هنا، فرأى هنري فليش أنّ هذا الموضع هو المكان الوحيد الذي اهتمَّ به الصرف العربيُّ بفكرة النبر(٤٤). أي إنّ ظهور الهمزة هنا ما هو إلا نوع من زيادة كمية من الطافة والجهد على المقطع الأخير من مقاطع الكلمة سبب تحقيقا للهمز . وكان برجشتراسر قد أكدَّ ذلك، إذ يرى أنَّ اللغة الضاغطة كثيرًا ما تميل إلى حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها، بينما تسعى إلى مدُّ الحركات المضغوطة، وأوضح أنَّ ذلك نادر في العربيَّة(٤٥).

وهنا رأى بروكلمان أنّ إقفال المقطع بالهمزة إنّما مردّه إلى التطوُّر الذي أصاب العربيَّة من دون اللغات الساميَّة الأخرى؛ فهو يعدُّ الألف الممدودة تطورًا للألف المقصورة، وأيَّد د.عبد الصبور شاهين هذا الرأي؛ إذ يرى أنَّ موقف العربي واحد بالنسبة إلى ما انتهى بألف مقصورة، فالصورة المفضلة عنده في مثل حَمْرا وصَحْرا هي: (حَمراء وصَحراء)(٤٦). ولهذا ذهب د.إبراهيم الشَّمسان، فقد جعل من أثر نبر المقطع نشوء ظاهرة (مدِّ المقصور وقَصر الممدود)، فالمدُّ يكون عنده حين يقع النبر على المقطع المتأخِّر، والقَصر إذا وقع النبر على المقطع المتقدِّم، ومثال هذا الاسم (هَناء)، فهو مؤلَّف من مقطعين: [هـ ـَ / ن ـً ء] ، فإذا وقع النبر على المقطع الأوَّل (هـ ـَ) اعترى المقطع الثَّاني التقصير [هـ ـَ / ن ـَ]، وقد ينتهي بخفقة صدريَّة تُسْمَع على شكل صوت الهاء. أمَّا إن كان النبر على المقطع الثَّاني (ن ـً ء) فإنَّه يبقى طويلًا ويُقفَل بالهمزة. ولهذا فإنَّ بعض النَّاس إذا نبر اسمًا مثل (مَها) الذي ينتهي بمقطع طويل مفتوح فإنَّه يختمه بالهمزة: (مهاء)، وهذا ما سُمِّي بمدِّ المقصور(٤٧).

وهذا ما ذهب إليه د.عبد الصبور شاهين، فلم يقبل بافتراض زيادة ألف ثانية للمدِّ ، وكل الذي حدث برأيه هو أنَّ الناطق العربيَّ شعر بضرورة تقوية النبر الطولي في الكلمة العربيَّة فقوَّاه بنبر الهمزة(٤٨).

وكان الرضي قد أشار إلى هذه العلة، إذ قال: "مخرج الألف متّسع وفيه المدُّ البالغ، فإذا وقفت عليه خلَّيت سبيله ولم تضمه بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيره فيهوي الصوت إذا وجد متسعًا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة"(٤٩).هذا في حالة الوقف، أمَّا في حالة الوصل فإنَّ الهمزة ستتحرك وتكوِّن مقطعًا مستقلًا هي بادئته.

ورأى د. حسام النعيمي أنّ الهمزة في (صحراء) وبابه إنّما هي زائدة أصالة على الاسم المقصور ليصبح ممدودا وليست منقلبة عن ألف، إذ قال: "أمَّا (حمراء) وبابه فيمكن أن تكون الهمزة قد زيدت فيه أصلًا وكذلك في المقصور، أي أن يكون العرب حين تحوَّلوا عن التاء في المؤنث عند الوقف إلى الهاء فقالوا (فاطِمَه) مثلًا تحوَّلوا في ألفاظ أخرى إلى الهمزة؛ إذ هي من الحلق كالهاء ثمَّ اشبعت الفتحة قبلها فصارت ألفًا، إلَّا أنَّ الهمزة في بعض الألفاظ أُضعِفت واستغني عنها بالإشباع الذي دخل الحركة قبلها فكان المقصور، وبقيت على حالها في ألفاظ أخرى فكان الممدود، ويكون مثل كلمتي (سَلمى وحَمراء)"(٥٠).

وقريب من هذا ما رآه د.الشَّمسان الذي ذهب إلى أنَّ ألف التأنيث هي همزة في الأصل، أي: (صحرأ)، وحُذِفَت الهمزة لغرض التخفيف ومُدَّ الصائت القصير، كما في التشكيل [ص ـَ ح / ر ـَ ءx] الذي آل إلى [ص ـَ ح / ر ـًا]، ثمَّ زِيدَ في مدِّ الألف ليُثْقَل المقطع بالهمزة(٥١).

وعلى هذه الشاكلة وصف د.جعفر عبابنة قول المتقدِّمين باجتماع ألفين في مثل (حمراء) وقلب الثانية همزة بأنَّه محض خيال؛ فعلامة التأنيث برأيه هي الألف والهمزة معًا في أصل الوضع، ولا إعلال في الموضوع(٥٢). وكذا لم يقبل د.شعبان صلاح القول بوجود ألف ثانية بعد ألف المقصور، ويعلِّل هذا بأنَّ النفس لا ترتاح لمثل هذا الموضع للألف الذي ذكره المتقدِّمون، لهذا لا يوجد دليل نقلي يؤيد أنَّ العرب تكلَّمت بـ(حمرى) بدلًا من (حمراء) ونحوها، إلَّا إذا أُشير إلى أنَّها مقصورة عن صيغتها الممدودة لسبب ما، ولهذا فهو يرى أنَّ الممدود هو الأصل وليس المقصور كما يقول المتقدِّمون(٥٣).

ويظهر ضعف هذه التعليلات الأربعة من إنّ سائر التصريفات كالجمع والتصغير والنسب لا تدلّ على إنّ الهمزة من ضمن البنية الأصلية للمفردات، فلو جمعت (قُرّاء) لقلت: (قَرَارِيء)، وكما قالوا في جمع كوكب دُرِّيء: (دَرَارِيء) لمَّا كانت الهمزة أصلًا، وقولهم: (صَحارِي) بلا همز دلالة على أنَّ الهمزة في (صحراء) ليست أصلًا كما زُعِمَ. ويبدو أنَّ مثل هذه الآراء قد تأثرت بما ذهب إليه د.داوُد عبده الذي يرى أنَّ كلَّ ألفٍ زائدة هي في الأصل همزة[٥٤]. وهو رأي مبني على الحدس والتخمين يرفضه الواقع اللغوي، ذلك أنّ الألف في (صحرا) إذا كانت للتأنيث فما الهمزة إلَّا قفل للمدِّ الحاصل في الألف وليست علامة تأنيث؛ لأنَّ العربيَّة تكره الجمع بين علامتي تأنيث، ولهذا نجدهم حذفوا التاء في مثل (مُسلِمة، وصالِحَة) في الجمع، يقول أبو البركات ابن الأنباريِّ (٥٧٧هـ): "والأصل في مسلمات وصالحات: (مُسْلِمَتَاتُ، وصَالِحَتَاتُ)، إلّا أنَّهم حذفوا التاء لئلا يجمعوا بين علامتي تأنيث في كلمة واحدة"[٥٥]. وأكدَّ برجشتراسر أنَّ للتأنيث في العربيَّة ثلاثة علامات:التاء، والألف المقصورة نحو: (صُغرى، وغَضبى)، والألف الممدودة نحو: (بَيضاء)[٥٦]. وهذا ما اختاره د.عبد الصبور شاهين أيضًا[٥٧].

وذلك أنّ كلَّ ما حصل في (صَحراء) وما يماثلها يمكن تفسيره بخصيصة الوقف العربيِّ، وهو مدُّ الصائت الطويل وإقفال المقطع بالهمزة؛ تجنُّبا للوقوف على مقطع مفتوح[٥٨]:

[ص ـَ ح / ر ـً ـً]

[ص ـَ ح / ر ـً ء]

فالعربي إذا مدّ صوته بنطق الفين متتابعين في آخر الكلمة فلابدّ له أن يقطع صوته ليفرغ من الكلام ومع قطع النطق بالألف يتولد صوت الهمزة تلقائيا . أي إنّ الهمزة في هذا الموضع ليست سوى قفل مقطعيٍّ، ولا يراد بها أن تكون بدلًا من الألف أو أنَّ الألف قُلِبَت همزة؛ لما ذكرنا من انعدام العلاقة بينهما. وما جرى هنا ما هو إلا حذف واجتلاب فرضه طبيعة النطق العربي عند تطويل المدّ في آخر اللفظ بمقدار أربع حركات. فالقول

بوجود ألفٍ ثانية عند المتقدِّمين يحمل على الحقيقة إذا كان المقصود به كميَّة مدِّ الصوت؛ لأنَّ المدَّ بمثل هذه الألفاظ يعادل ألفين، أي: أربعة حركات أو أكثر.

ويمكن مقابلة ما حصل في (صحراء) وبابها بما جرى في أبنية صرفية أخرى حصل فيها مدّ زائد لأجل المبالغة في التأنيث وتأكيد عليه بالمدّ الذي يكون قبل الألف الأولى في (صحرى) لا بعدها كما كثير من أبنية العربية التي تستعين بمد الصائت القصير قبل الآخر بغية المبالغة والتأكيد كقولهم: (فطِن وفطين، زمَن وزمان، احمرّ واحمارّ، بكًى وبكاء)، فالألف الأولى في صحراء هي نفسها الألف في (زمان) المبني على (زمن) وهي بمنزلة ألف (فرحان) وبابه التي زيدت للمبالغة، ولكن هنا قفل المقطع بالنون دون الهمزة توخيا للحفاظ على معنى التذكير. أما همزة (صحراء) فهي بمنزلة همزة (بكاء) المبني على (بكًى) إذ زيدت الف المدّ قبلهما معا فاحتيج إلى اجتلاب الهمزة بدلا من الألف الثانية لقفل المقطع. وهذا يفسر لنا استحسان العرب ظاهرة قصر الممدود لأنه عود إلى الأصل واستقباحهم مدّ المقصور لأنه زيادة وتطويل على الأصل[٥٩].

المطلب الثاني

التعليل الصوتي لقلب الألف همزة جوازًا:

ذكر القدماء طائفة من أمثلة القلب الجائز للألف همزة أشهرها **(قلب الألف المتطرّفة همزة في الوقف)**. إذ قال سيبويه: "وزعم الخليل أنَّ بعضهم يقول: (رَأيتُ رجلأ) فيهمز؛ و(هذه حُبلَأ)، وتقديرهما: رَجُلَع وحُبلَع؛ فهُمِزَ لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنَّه سيصير إلى موضع الهمزة، فأراد أن يجعلها همزة واحدة، وكان أخفَّ عليهم. وسمعناهم يقولون: (هو يضربهأ)؛ فيهمز كل ألف في الوقف"[٦٠]. ومَثَّل له ابن عصفور(٦٦٩هـ) بـ(موسأ) في موسى[٦١]، وقرأ زهير الفُرقُبي[٦٢] (الذي هو أَدْنَأ)[٦٣].

ورجّح د. حسام النعيمي أنَّ الذين همزوا في هذا الموضع هم أهل البادية؛ لأنَّهم أكثر ميلًا إلى الهمز من غيرهم[٦٤]، فكانت قبيلة طَيِّىء تُبَدِّل الهمزة من الألف إذا وقعت طرفًا موقوفًا عليها، وتسمى هذه الهمزة (همزة الوقفة)[٦٥]، فيقولون "لِلْمَرْأَة: قولئ، وللرجلين قولأ، وللجميع قولؤ، وَإذا وصلوا الْكَلَام لم يهمزوا، ويهمزون (لَا) إِذا وقفُوا عَلَيْهَا"[٦٦].

والألف في (رَجُلا) هي ألف مطلقة من التنوين، وفي (يَضرِبها) ألف الضمير، وفي (موسى) مقلوبة عن ياء أو مجهولة الأصل[٦٧]، وفي (حُبلى) ألف للتأنيث ، وفي (أدنى) منقلبة عن الواو.

أي إنَّ بعض القبائل العربيَّة يقلب الألف المتطرفة همزة سواء كانت للإطلاق، أو للضمير، أو منقلبة عن ياء أو واو، أو للتأنيث[٦٨].ولا يكون هذا عندهم إلا في الوقف، أمَّا إذا وصلت قُلت: (هو يضربها يا هذا، ورأيتُ حُبلى أمس)[٦٩]؛ لأنَّ المتكلِّم سيأخذ بصوت آخر بعد الألف[٧٠].

وفي هذا دليل على أنَّ الدَّافع وراء هذا التغيُّر إنّما هو صوتيٌّ محضٌ[٧١]، ويتَّضح هذا من تعليل الرضيِّ لهذه المسألة، إذ قال: "وذلك لأنَّ مخرج الألف متَّسع وفيه المدُّ البالغ فإذا وقفت عليه خليت سبيله ولم تضمَّه بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيره فيهوي الصوت إذا

وجد متَّسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة"[٧٢]. وقول الرضيِّ هذا يقترب كثيرًا من رأي المحدثين في أنَّ الهمزة تأتي في نهاية المقطع لقفله؛ وهذا راجع إلى طبيعتها الصوتيَّة[٧٣].

والمحصل من قول سيبويه والرضيِّ أنَّ الهمز حصل بعد نيَّة المتكلِّم في مدَّ صوت الألف في حالة الوقف، وقد عَلِمَ أنَّ مدَّه لهذا الصوت سيذهب به لا محالة إلى موضع الهمزة، لهذا عَدل به من غير مدٍّ إلى الهمزة، أي أنَّ المتكلم لم يُشبِع الألف بل قصرها وجاء بالهمزة، وهذا أخفُّ عليهم كما ذكر سيبويه. وما يؤيد تفسيرنا هذا قول ابن جنيٍّ في هذا الموضع: "فهذه الهمزة بدل من الألف في الوقف في لغة من وقف بالألف لا في لغته هو؛ لأنَّ من لغته هو أن يقف بالهمزة"[٧٤]، فبعض العرب قد تبالغ في مطل الحرف جريًا على ما تعوَّده من التعالي في جهر الصوت وتمكينه[٧٥].

إنَّ قول سيبويه هذا يحاكي في أكثره الحقيقة الصوتيَّة؛ فقوله إنَّ مدَّ الألف يوصل بالوقف إلى مخرج الهمزة تؤيده الدراسات الصوتيَّة الحديثة[٧٦]، فقد أثبتت التجارب العلمية أنَّ صوت الهمزة صوت غير مستقر، وهو يشبه أصوات المدِّ في بعض الأحيان[٧٧]. وإنَّ العدول من الألف إلى الهمزة بسبب الثقل واردٌ أيضًا، غير أنَّ ما لا نوافق عليه هو القول بقلب الألف همزة.

ويعضد هذا أنَّ مجيء الهمزة قفلًا حنجريًّا في المقطع المفتوح لا يعني أنَّها وظيفة خُصَّت بها الهمزة؛ لأنَّ العرب قد تقف على غير الهمزة أيضًا، كحالات هاء السكت والندبة، حيث يمكن أن تنتهي الكلمة بمقطع مفتوح فيلجأ العربيُّ إلى إقفاله بالهاء وهو صوت حنجري أيضًا، فالمقطع المفتوح إقفل بصوت لا وظيفة له غير الإقفال. فلا بُدَّ إذن من البحث عن علّة أخرى لهذا الإبدال الذي ساد في العربيَّة الفصحى منذ زمن بعيد. فلعلَّ اختيار العرب للهمزة في هذه المواضع جاء بما أشار إليه د.حسام النعيمي من أنَّها علاقة ذهنيَّة "موجودة في ذهن العربي الذي كان إذا سهَّل الهمزة المضمومة جعلها واواً في مثل (مومن)، وإذا

سهّل المكسورة جعلها ياء في مثل (بير)، فحين أرادوا التخلص من الواو أو الياء ههنا جعلوها همزة لذلك"[٧٨].

وقد يكون منشأ هذه القرابة الذهنيَّة ما وجدوه من انقطاع تصويت الألف عند الهمزة، فهي قفل حنجريٌّ، يقول الرضيُّ: "وذلك لأنَّ مخرج الألف متَّسع وفيه المدُّ البالغ فإذا وقفت عليه خلَّيت سبيله ولم تضمَّه بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيره فيهوي الصوت إذا وجد متَّسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة"[٧٩].

ولتوضيح ما حصل من إبدال برؤية صوتيَّة حديثة نقول: إنَّ الأصل في الوقف في العربيَّة أن يكون بالسكون، قال ابن يعيش (٦٤٣هـ): "الحرف الموقوف عليه لا يكون إلّا ساكنًا كما أنَّ الحرف المبدوء به لا يكون إلّا متحركًا؛ وذلك لأنَّ الوقف ضدَّ الابتداء، فكما لا يكون المبدوء به الّا متحركًا فكذلك الموقوف عليه لا يكون إلّا بضدِّه"[٨٠]. ومعنى هذا أنَّه لا يوقف على متحرِّك، أي لا يوقف على مقطع مفتوح. ومنهج العربيَّة هذا يفسر لنا زيادة هاء السكت في الأفعال والأسماء والأدوات، نحو: {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ} [الحاقة : ٢٦] و(لم يخشَه)، و(إلامَه)[٨١].

وعلى الرغم من أنَّ العرب قد أقرّوا هذه الحقيقة غير أنَّهم لم يطبقوها تطبيقًا صحيحًا؛ لأنَّهم عدّوا حروف المدِّ صوامت لا حركات طويلة[٨٢]. والدراسات اللغويَّة للهجات أثبتت أنَّ بعض العرب يكره الحركات الطويلة ويعمد من أجل تجنبها إلى همزها حين تكون في مواقع معينة[٨٣].

وبعد هذا نستطيع القول إنَّ بعض العرب كَرِهوا وقوع مقطع طويل مفتوح في آخر الكلمة، لفعمدوا إلى إقفاله بالهمز كما في التشكيل [رـَ / ج ـُ / ل ـً] إذ يؤول إلى [رـَ/ ج ـُ/ ل ـَء]. وذلك بتقصير مدّ الصائت في مقطع الوقف أي تقصير الألف إلى فتحة، وقفل المقطع بالهمزة، فما جرى هنا في الحقيقة تمّ بخطوتين الأولى قصر المدّ أي إرجاع الألف إلى فتحة، ثم اجتلاب همزة لقفل المقطع الأخير، وكل ذلك فرارا من إطلاق النطق

بالألف في الآخر، إذ هو عرف لهجي مستثقل عند بعض العرب ففضلوا عليه نبر المقطع الأخير على وفق مذكر آنفا. ومثل هذه الإجراءات الصوتية الغريبة مالوفة في الوقف لدى بعض القبائل العربية ، إذ نقل ابن جني أنَّ "من العرب من يقف على المنصوب المنون بلا ألف، فيقول: ضَرَبْتُ زيدْ، وكَلَّمتُ مُحَمَّدْ"(٨٤). ولذا يرجِّح د.حسام النعيمي أن يكون الذين همزوا الألف كانوا يقفون ابتداءً على مقطع مفتوح، فيقولون: (جاءَ خالدو)، و(شاهدتُ خالدا)، (ومررتُ بخالدي)، ثُمَّ حصل أن تخلَّصت اللغة الأدبيَّة من المقطع المفتوح بالواو والياء بإسكانه وأبقته مع الألف؛ فقد وجدته سائغًا مقبولًا عندها، غير أنَّ بعض اللهجات لم تستسغه، ولهذا قفلت المقطع المفتوح عن طريق نبر الشدَّة بالهمز(٨٥). وما كلُّ ذلك إلَّا لشعور العربيِّ بثقل المقطع المفتوح. وإقفال المقطع المفتوح بالهمزة يولِّد المقطعَ المديد، وهذا "الضرب من المقاطع نادر في العربيَّة الفصحى، وتميل العربيَّة إلى هجره كلَّما أوتت إلى ذلك سبيلا"(٨٦)، وتتمثَّل صعوبة هذا المقطع في أنَّ الهواء يندفع بكمية كبيرة عند النطق بالمصوت الطويل الذي هو قمَّة لهذا المقطع، ولأنَّه ينتهي بقاعدة فهذا يعني أنَّ جهدًا كبيرًا سوف يُبذَل من المتكلم لإيقاف هذا التيَّار المندفع من الرأتين(٨٧)، ناهيك عن أنَّ الصوت الذي سوف يوقف عليه هو صوت الهمزة، فيرى علماء العربيَّة أنَّ صوت الهمزة صعب اللفظ وبعيد المخرج(٨٨).

ويبدو أنَّ سيبويه قد شعر بثقل هذا المقطع حتى لو كان في الوقف، لهذا منع توكيد الفعل المسند إلى ألف الإثنين بالنون الخفيفة، وعدَّ ما جوَّزه يونس ليس له نظير في كلام العرب؛ يقول سيبويه: "لا يقع بعد الألف ساكن إلَّا أن يدغم"(٨٩). لهذا كلِّه ترك العربي المقطع المديد في هذا الموضع لشعوره بصعوبته، ولجأ إلى تحويله إلى مقطع طويل مُغلق بعد تقصير قمّتِه، أي يمكن القول إنَّ العربيَّ حوَّل من نبر الطول (حُبلى) إلى نبر التوتر(حُبلأ)؛ ليتمكن من الوقوف على مقطع طويل مغلق(٩٠)، كما في التشكيل [رـَ / ج ـُ/ ل ـً] الذي يؤول إلى [رـَ/ ج ـُ / ل ـَ ء]، فقد جرت عادة اللغة العربيَّة اختصار

المصوت الطويل الذي يرد في مقطع مقفل في حالة النثر إذا ما أمن اللبس[٩١]. ويبدو أنَّها سمة اللغات الساميَّة، قال بركلمان: "في المقاطع المغلقة لا تتحمَّل اللغات الساميَّة أصلًا إلّا الحركات القصيرة، فإذا كان في بناء الصيغة حركة طويلة في مقطع مغلق فإنَّها تُقَصِّرَه"[٩٢]. وما يعضد هذا التعليل هو اختزال الحركة الطويلة للفعل الأجوف في الأمر وفي المضارع المجزوم بالسكون، نحو: نَمْ، ولم يَنَمْ. فالأصل فيهما هو: نَامْ، ولم يَنامْ، فرارا من المقطع المديد (ن ـَ م)، فاختُزِل إلى مقطع طويل مغلق بتقصير قمَّته (الحركة الطويلة) فأصبح (ن ـَ م) .

والهمزة في (رَجُلاْ) جاءت في نهاية المقطع بسبب مدِّ الصوت الذي هرب منه المتكَّلم في حالة الوقف ليتخلَّص من صعوبة النطق بالمقطع المديد، فقد ميَّز الباحثون المحدثون طائفة من العوامل التي تسبِّب طولًا أو قصرًا في أصوات المد، ومن هذه العوامل تطرف أصوات المدِّ[٩٣]، لهذا نجدُ الهمزة قد اختفت من المقطع في دُرج الكلام؛ لأنَّ المدَّ لا وجود له في هذا الموضع، قال ابن جنيِّ: "وهذا كله في الوقف، فإذا وصلت قلت: هو يضربها يا هذا، ورأيت حبلى أمس"[٩٤]، وعلَّل الرضي هذا بقوله: "فإذا وصلوا لم يمتد الألف إلى مخرج الهمزة لأنَّك تأخذ بعد الألف في حرف آخر"[٩٥]. والكتابة الصوتيَّة توضِّح ذلك في الوقف كما في التشكيل [ر ـَ/ج ـُ/ل ـَء/]، أمَّا في الدُّرج فيصبح التشكيل [رـَ /ج ـُ/ل ـَ ن] .

وقد يقال: إنَّ لفظ (رَجُلاْ) جاء في الوقف كما ذكر سيبويه، وأنَّ المقطع المديد من المقاطع التي يغتفر لها في الوقف، كما في (الظّالِّينْ). ويردّ على هذا أنَّ هذا القول صحيح، غير أنَّه ليس على إطلاقه، فبعض العرب يسعى إلى التخلُّص منه كلَّما أمكنه ذلك. ويبدو أنَّ هذا القول يمكن أن يكون في القراءات؛ فهو اتِّباع للرواية ليس غير، فيرى مكي بن أبي طالب أنَّ ترك إشباع المدِّ قبل الهمزة جائزٌ تركه، أمَّا في القراءات فلا بدَّ من إشباع المدِّ، وإلّا فترك المدِّ في الكلام جائز[٩٦]. لهذا نرى في بعض القراءات مجيء

المقطع المديد في الدرج، وهو أمر تكرهه العربيَّة، ومن هذا قراءة حمزة (اسْطَّاعوا)، بسكون الطاء وتشديد الطاء[٩٧]، وهو في التشكيل الصوتيِّ [ء ـِ س ط / ط ـً/ ع ـُ] . فقد جاء المقطع في درج النطق مع إنه من مقاطع الوقف، والسبب كما يتَّضح ليس صوتيًا إنَّما هو اتباعًا للرواية. لهذا جعل د.عبد الصبور شاهين المدَّ صورة من صور التأنِّي في الرواية، فائدته تركيز النبر على مقطع معين[٩٨]، ويرى أنَّ التحليل الصوتيَّ للأمثلة المهموزة يمكن أن تُفسَّر بوظيفة الهمز في النطق العربيِّ وهي على جانبين[٩٩]: أولهما: وسيلة للهروب من تتابع الحركات، ومن ثمَّ تكوين مقطع عربيَّ سليم. والآخر: هو صورة من صور النبر، أو المبالغة فيه.

ويبدو أنَّ قول الباحثين العرب بتعلُّق الهمز بالنبر في مثل هذه المواضع ناشيء من التأثُّر بالرؤيَّة الإستشراقيَّة للغة العربيَّة، يقول بروكلمان: "في اللغة العربيَّة القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقى، ويتوقَّف على كمِّية المقطع، فإنَّه يسير من مؤخَّرة الكلمة نحو مقدَّمتها حتى يقابل مقطعًا طويلًا فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإنَّ النبر يقع على المقطع الأوَّل منها"[١٠٠]. ولهذا نجد د.عبد الصبور شاهين يؤكِّد على وجود النبر في العربيَّة، فيقول: "وقد كان النبر يأخذ في ألسنة قبائل العرب صورًا مختلفة، منها الهمزة، ومنها طول الحركات، ومنها تضعيف الأصوات"[١٠١]. ولا شكَّ أنَّ العربي كان يتحكم به ذوقه في اختار نوع النبر الذي يريد. أمَّا د.يحيى عبابنة فذهب إلى أنَّ الهمزة في مثل (رَجُلاً) جاءت للتعويض عن تقصير الحركة الطويلة بعدما أحدث إجحافًا في الشكل الصوتيِّ للكلمة[١٠٢]، غير أنَّ د.عبابنة لم يذكر السبب في ميلهم إلى مثل هذا التقصير، ممَّا يجعل كلامه في كون الهمزة للتعويض محط نظر، وما نراه في وجود الهمزة وتقصير الحركة الطويلة هو ما ذكرناه.

المطلب الثالث

التعليل الصوتي لقلب الألف همزة شذوذًا

إنّ تحقيق الهمزة شذوذا يعني "أن ترتجل همزًا لا أصل له، ولا قياس يعضده"(١٠٣). وأطلقوا على الهمزة المحققة على هذه الشاكلة بـ(همزة التَّوَهُّم)(١٠٤). وأكثر ما وردت أمثلتها في إبدال الألف همزة إبدالًا غير مطَّرد في مفردات قليلة منها ما في قراءة أيّوب السختيانيِّ: (وَلا الضَّأَلِّين)(١٠٥)، وقراءة الحسن وعمرو بن عبيد: (ولا جَأَنٌّ)(١٠٦)، وهي لغة في تميم وعكل(١٠٧). ومنها قولهم: (البأز، والخأتم، والعألم)(١٠٨). ونقلوا عن ثقيف أنها تقول في الْمُضَاهَاةُ: (الْمُضَاهَأَةُ) بِالْهَمْزِ، وَ(قَدْ ضَاهَأْتُ)(١٠٩). وجعله الخليل من الغلط(١١٠).

وعلَّل ابن جنيِّ قراءة (ولا الضألّين) بقوله: "كَرِهَ اجتماع الساكنين: الألف واللام الأولى، فحرَّك الألفَ لالتقائهما، فانقلبت همزة؛ لأنَّ الألف حرف ضعيف واسع المخرج، لا يتحمَّل الحركة ...، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه، وهو الهمزة"(١١١).

والتقاء الساكنين في هذا الموضع جائز لدى علماء العربية القدماء؛ وعللوا ذلك بأنَّ "المد الذي في الساكن الأوَّل قام مقام الحركة، فكأنَّه لم يجتمع ساكنان؛ ولأنَّ الحرف المدغم في آخر يتوهَّم أنَّه متحرك"(١١٢). ولكنّ تحريك الألف هنا بالفتح(١١٣) تخلّصا من التقاء الساكنين يعدّ إجراءا صوتيا مخالفا للأصل في تحريك التقاء الساكنين الذي هو الكسر(١١٤). ولذا علل ابن جنيِّ هذه المخالفة في الاجراء الصوتي بأنّ "الحركة إذا جاورت الحرف الساكن فكثيرًا ما تجريها العرب مجراها فيه، فيصير لجواره إيَّاها كأنَّه محرك بها، فإذا كان كذلك فكأنَّ فتحة باء (باز) إنَّما هي في نفس الألف، فالألف لذلك وعلى هذا التنزيل كأنّها محركة، وإذا تحركت الألف انقلبت همزة"(١١٥)؛ أي أنّه رأى أنّ "مخرج الألف المتحرِّكة التي هي همزة من المصدر، ومخرج الألف فوقها من أول الحلق"(١١٦). وهذا

يعني أنَّ للألف مخرجين: مخرجًا إذا كانت ساكنة، ومخرجًا إذا كانت متحرِّكة وهي الهمزة، وهذ ما أشار إليه هنري فليش في توجيهه لقول ابن جنيٍّ(١١٧).

إنَّ الفكرة التي بنى عليها ابن جني قوله هذا هي النظرة القديمة إلى أصوات: الألف، والواو والياء المديَّتين؛ فقد عدّها علماء العربيَّة قديمًا حروفًا كالكاف والتاء والباء في (كَتَبَ) من حيث الحركات والسكنات(١١٨)، فقالوا عن الواو المدِّيَّة: الساكنة المضموم ما قبلها، وقالوا عن الياء المديَّة: الساكنة المكسور ما قبلها، أمَّا الألف فلا تكون عندهم إلّا ساكنة مفتوح ماقبلها(١١٩).

واكتفى تابعو ابن جني من القدماء بهذا التعليل كتوجيه ابن الحاجب (٦٤٦هـ) لالتقاء الساكنين بأنّه "يغْتَفر فِي الْوَقْف مُطلقًا وَفِي المدغم قبله لين فِي كلمة"(١٢٠). فقد ذكر الاغتفار المطلق لالتقاء الساكنين في الوقف ولم يجعله للوقف والإدغام معًا، ممَّا يُفْهَم أنَّه في غير الوقف جائزٌ لا واجبٌ.

أما توجيه هذا التحقيق للهمزة لدى المحدثين فينطلق من نقد تعليل ابن جني وذلك أنّ قوله بتحريك الألف، فهذا ينافي قولهم: إنَّ " الألف لا تكون أبدًا إلّا ساكنة"(١٢١). وأنّ إقراره بوجود حركة قبل الألف، وهذا غير صحيح؛ لأنَّ صوت الضاد في (الضّالِّين) متحرك بالحركة الطويلة وهي الألف نفسها. فضلا عن ذلك يعد قوله بانقلاب الألف همزة بعد تحريكها لعجزها عن تحمُّل الحركة قولا غامضا، لأنّ الإبدال لا يكون بين هذه الأصوات لعدم وجود مناسبة بينها.

ولهذا خالف المحدثون المتقدِّمين في تعليلهم هذا التحقيق النادر للهمزة؛ فعدّوا الألف، والواو والياء المدِّيتين حركات طوالا لا حروفًا صامتة أو معتلَّة ساكنة، ولا فرق عندهم بينها وبين الحركات إلّا في الكميَّة الصوتيَّة(١٢٢)، وقد لحظوا أنَّ التخطيط الطيفيَّ للمقاطع الصوتيَّة في السلسلة الكلامية تُشَكَّل من تقعُّر وتحدُّب، فأطلقوا على التقعُّر مصطلح (قاعدة المقطع)، ولا تكون هذه القواعد إلّا في الصوامت أو أنصاف الحركات (الواو

والياء) الليِّنتين، وأطلقوا على التحدُّب مصطلح (قمم المقطع)، ولا يستغلَّها إلَّا المصوِّتات القصيرة والطويلة(١٢٣).

والحقُّ أنَّ بعض المتقدّمين شعر بطبيعة الحركة الطويلة التي تلي الصوامت التي من جنسها، غير أنَّه لم يستطع التخلُّص من قيد العرف الصوتيِّ الذي ينتمي إليه والقائل بوجود حركة قصيرة قبل كلِّ حرف علّة، ونلحظ هذه الحقيقة في قول سيبويه: "فأمَّا (أفعلٌ) فنحو: (أدوُر، وأسوُقٍ، وأثوُبٍ)، وبعض العرب يهمز لوقوع الضمَّة في الواو، لأنَّها إذا انضمَّت خفيت الضمَّة فيها كما تخفى الكسرة في الياء"(١٢٤)، فقوله بخفاء الضمّة في الواو والكسرة في الياء دليل على إدراكه انعدام تحقّق الحركات القصيرة قبل الطويلة، فإذا شعر سيبويه بخفائها وهي على الواو (نصف الصائت) فإدراكه انعدامها قبل الحركات الطويلة حقيقة واضحة لم يصرّح بها سيبويه.

ومن هنا يمكن القول إنَّ تجاور صامتين في العربيَّة جائز؛ حيث يشكِّل الصامت الأوَّل نهاية مقطع، ويشكِّل الثّاني بداية مقطع. أي إنّه لا يوجد التقاء لساكنين في كلمة (الضّالّين)، وما حصل هو تكوّن مقطع مديد في وسط هذه الكلمة. ولمّا كان المقطع المديد من مقاطع الوقف في العربية فإنّ وروده في وسط السلسلة الكلامية يعدا إجراء صوتيا مكروها في العربية لصعوبته، والعربيَّ يتجنَّبه كلَّما أمكنه ذلك، ومن طرق الهروب من هذا المقطع الذي لم يرد في موضعه الصحيح من التشكيل الصوتي أن شطر بعض العرب المقطع المديد إلى مقطعين الأول قصير مفتوح والآخر طويل مغلق وذلك بحذف الصائت الطويل منه واجتلاب الهمزة كما في قراءة الضألين "وهذه لغة من جدَّ في الهرب من التقاء الساكنين"(١٢٥)، فالتشكيل الصوتي لأصل (ولا الضالّين) يكشف عن تتباع مقطعين مديدين فيه هما [ض ـً ل/ ل ـٍ ن] وهذا التتابع سبب ثقلا في النطق لدى بعض العرب فعمدوا إلى التغيير في المطقع الأول دون الثّاني بتقصير الصائت الطويل أولا ، وجعل برجشتراسر تقصير الحركة الطويلة مطَّردًا قبل كل ساكن(١٢٦). وما حصل هنا هو

كراهة الاحتفاظ بالمقطع المديد، لهذا عمد بعض العرب إلى تقسيمه إلى مقطعين، قصير وطويل مغلق بتقصير قمته (الصائت الطويل) واجتلاب صوت الهمزة، كما في التشكيل:

[ض ـَ/ ء ـَ ل / ل ـٍ ن]

وهذا التغيير أدّى إلى وجود نمطين مستعملين صحيحين أحدهما غير مهموز وهو الأصل والآخر مهموز(١٢٧). والمحصل من بعض توجيهات ابن جني لتحقيق الهمز هنا سبقه إلى ما آلت إليه معطيات الدرس الصوتي الحديث إذ قال وهو يتحدث عن (الضألّين): "فالتقى ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة، فزيد في مدة الألف، واعتُمدت وطأة المد، فكان ذلك نحوًا من تحريك الألف"(١٢٨). وفسَّر د.النعيمي قول ابن جني:(اعتماد وطأت المدّ) أنَّ فيه معنى ضغط الحرف ونبره ونطقه ومن ثمَّ همزه(١٢٩). وإنَّ اختيار الهمزة دون الواو والياء جاء لعلّة؛ وهي أنَّ اختيارهما يُبقي على المقطع المديد في الوسط، فيكون (الضّولِّين، أو الضّيلّين.

وذهب هنري فليش إلى أنَّ الذي حصل هو تقسيم المصوت الطويل (الألف) إلى مصوتين قصيرين منفصلين بالهمزة(١٣٠)، وقد وافقه نولدكه في ما نقله عنه د.رمضان عبد التواب، فيرى أنَّ صيغة (افعالَّ) تتحوَّل إلى صيغة (افعألّ) تفاديًا للمصوت الطويل في مقطع مقفل(١٣١). وهذا يعني أنَّ التغيير في رأيهما مرَّ بمرحلتين: [ض ـَ ل / ل ـٍ ن] الأوَّلى: تقسيم المصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين، أحدُّهما قمَّة للمقطع السابق، والآخر بدون قمة أي [ض ـَ ـَ ل /ل ـٍ ن] . فيتشكَّيل من هذا مقطع له قمَّتان، وهذا ما لا ترضاه العربيَّة ولا تغتفر له. وهنا جاءت المرحلة الثّانية وهي اجتلاب الهمزة لتكون قاعدة للقمة التي تولّدت من انقسام المصوت الطويل، كما في [ض ـَ /ء ـَ ل /ل ـٍ ن] فتشكَّل مقطعان من هذا التغيير: قصير، وطويل مغلق، وكلاهما مقبول في العربيَّة.

وتظهر صعوبة هذا المقطع عند العرب في أنَّهم يتخلَّصون منه في أيِّ موضع يظهر فيه بسبب التعاملات الصوتيَّة وبطرق مختلفة على الرغم من استيفائه لشروط جوازه، سواء

تشكَّل في الوقف أم في درج الكلام، فمثاله في الوقف جزمهم للأفعال الجوفاء، أو أتيانهم الأمر منها، أو إلحاق نون النسوة إلى الفعل المضعَّف وغيرها، فيسعون إلى تقصير المصوت الطويل، وهي وسيلة من الوسائل التي استعملتها العرب للهروب من هذا المقطع. فمثل (يقول) يكون تركيبه الصوتي هو [ي ـَ / ق ـُ/ ل ـُ] فإذا دخل عليه الجازم يسقط المصوت القصير الذي هو قمَّة المقطع الأخير، فيبقى المقطع بقاعدة من دون قمَّة، لهذا تُلْحَقُ القاعدة بالمقطع السابق، فيصبح التشكيل [لم / ي ـَ/ ق ـُ ل] وهذا يؤدي إلى تشكيل المقطع المديد في الفعل وقفا ولصعوبته يتخلَّصُ منه بتقصير قمته فيؤول إلى مقطع طويل مغلق كما في [لم / ي ـَ/ ق ـُ ل] . فعلى الرغم من تشكل هذا المقطع في موضع يغتفر له وهو الوقف إلَّا أنَّنا نجد العرب وقد تخلَّصت منه. ومثاله في درج الكلام قولهم: (أخا العرب)، فتشكيله المقطعيُّ في الأصل هو:[ء ـَ/ خ ـً ل/ع ـَ / ر ـَ ب]. وهنا تشكل مقطع مديد مستثقل فيجري التخلص منه بتقصير قمَّته وتكوين مقطع طويل مغلق كما في التشكيل: [ء ـَ / خ ـَ ل/ع ـَ / رـَ ب].

ولهذا نجد أنَّ الشعر العربيَّ لا يسمح بوجود هذا المقطع في نظمه، فقد نُقِلَ عن نولدكه قوله إنَّ النثر يُجيز وجود حركة طويلة قبل صامت مُضَّعف، نحو (احمارَّ) و(شابَّة)، على حين لا يسمح الشعر بهذه المقاطع الطويلة، ويتخلَّص الشعر بطرق مختلفة، منها: إلغاء التضعيف، نحو:(ذارَت) في (ذارَّت الناقة تذارّ إذا ساء خلقها)[١٣٢] ، أو تُقسَّم الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين مفصولتين بالهمزة، نحو: (احمأرَّ) في (احمارَّ)، وهذا ما حصل لصيغة (إفعالَّ) عندما تحوَّلت إلى (إفعألَّ)، أو تقصير الحركة الطويلة، نحو: (احمرَّ) في (احمارَّ)[١٣٣].

وذهب إلى مثل هذا د.رمضان عبد التواب[١٣٤]، وممَّا ذكره في هذا قول كُثير عزَّة:

وأنْتَ ابنُ لَيلَى خَيْرُ قَوْمِكَ مَشْهَداً إذَا مَا احْمَأَرَّتْ بالعَبِيطِ العَوَامِلُ[١٣٥]

وهذه حقيقة أشار إليها العرب قديمًا، يقول ابن منظور(٧١١هـ): "وَقَدِ احْمَرَّ الشَّيْءُ واحْمَارَّ بِمَعْنًى، وكلُّ (افْعَلَّ) مِنْ هَذَا الضَّرْبِ فَمَحْذُوفٌ مِنِ (افْعَالَّ)، و(افْعَلَّ) فِيهِ أَكثر لِخِفَّتِهِ"[١٣٦]، فقول ابن منظور يدلُّ على مدى صعوبة هذا المقطع في درج الكلام عند العرب، ولهذا قلَّ في استعمالاتهم اللغويَّة.

وعلى الرغم من أنَّ بعض المتقدمين جوَّز مجيء هذا المقطع في الشعر العربيِّ إلّا أنَّ المعاصرين رفضوا تجويزه وعدّوه ليس صحيحًا، وأنَّ مجيء هذا المقطع في الشعر العربي يدفع إلى التخلُّص منه، لهذا اتَّهموا الشعر الذي جاء به بالشَّاذ[١٣٧] وبالتحريف[١٣٨]، وأنَّ القول بالضرورة كتفسير لظاهرة التخلُّص من هذا المقطع ضدٌّ وجودها في القرآن والنثر العربيِّ، وهذا يدعو للبحث عن علَّة أخرى غير الضرورة[١٣٩].

أمَّا د.داود عبده فجاء برأي خالف به المتقدِّمين والمتأخرين في هذه المسألة؛ فيرى أنَّ الألف في (الضّالّين) وفي (جانّ) بل كلِّ ألف زائدة هي همزة في الأصل، وإنَّ ما حصل هو إسقاط لهذه الهمزة وتكوِّن من العلَّتين القصيرتين المتواليتين علّة طويلة، أي أنَّ التشكيل عند داود عبده هو [ض ـَ /ء ـَ ل/ ل ـِ ن] ثمَّ سقطت الهمزة في [ض ـَ /ء^{x} ـَ ل/ ل ـِ ن] فصا [ض ـَ ـَ ل /ل ـِ ن] فتشكّلت من العلَّتين القصيرتين المتواليتين بسبب سقوط الهمزة علَّة طويلة في [ض ـً ل/ ل ـِ ن]. واحتجَّ داود عبده لرأيه هذا بأنَّ وجود الهمزة هكذا لا يكون إلَّا في الكلمات التي فيها الألف الزائدة من دون العلَّتين الطويلتين الواو والياء[١٤٠]. واستدل بقول ابن جنيِّ: "وهذا الهمز الذي تراه أمر يخصُّ الألف دون أختيها. وعلَّته في اختصاصه بها دونهما أنَّ همزها في بعض الأحوال إنَّما هو لكثرة ورودها ساكنة بعدها الحرف المدغم، فتحاملوا وحملوا أنفسهم على قلبها همزة تطرقًا إلى الحركة وتطاولا إليها؛ إذ لم يجدوا إلى تحريكها هي سبيلًا، لا في هذا الموضع ولا في غيره. وليست كذلك أختاها لأنَّهما وإن سكنتا في نحو: (هذا قَضيب بكر، وثمود الثوب)

فإنَّهما قد تحرَّكان كثيرًا في غير هذا الموضع. فصار تحرُّكهما في غير هذا الموضع عوضًا من سكونهما فيه"[١٤١].

والحقيقة أنَّ قول ابن جني هذا لا يعد تعليلًا مقنعًا مثل ما أشار إلى ذلك داود عبده نفسه لأنَّ هذا يعني أن الأصوات تتأثَّر بما هو غير لغويٍّ، وهو أمر ترفضه الدراسات الصوتيَّة الحديثة بما أثبتته من حقائق علمية بعيدة عن الخيال. أمَّا قول د.داود عبدة فقد تكون انطلاقة فكرته من قول علماء العربيَّة المتقدِّمين أنَّ التحقيق للهمزة هو الأصل كسائر الحروف، وأنَّ التخفيف استحسان عندهم[١٤٢]، ولهذا يرون أنَّ من همز فقد أتى بالكلمة على أصلها، وأنَّ من تركها نحا إلى التخفيف[١٤٣]. فلعلَّ هذا هو الذي أنشأ عنده هذه الفكرة، غير أنَّ قول علماء العربيَّة هذا يخصُّ الهمز الأصلي لا الهمز الشاذ[١٤٤].

وما ذهب إليه د.عبده من أنَّ هذا الهمز لا يكون إلّا في الكلمات التي فيها الألف الزائدة ففيه نظر؛ لأنَّ العرب كانت قد أبدلت من الياء الزائدة همزة أيضًا، قال السيوطي (٩١١هـ): "ومن ذلك همزهم مَصائِب وهو غَلَطٌ منهم؛ وذلك أنهم شبَّهُوا مُصيبَة بصَحيفَة، فكما همزوا صَحائِف همزوا أيضا مَصائِب، وليست ياء مُصيبَة بزائدة كياء صَحيفَة"[١٤٥]. بل نجدهم قد أبدلوا من الأصل أيضًا، كما في قراءة ابن كثير: (بالسُّؤق)[١٤٦] في قوله تعالى: {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [ص : ٣٣] بقلب الواو همزة.

فضلًا عن هذا فإنَّ د.عبده كان قد بنى رأيه على لغة اتفق علماؤنا الأوائل على أنَّها لغة نادرة وشاذَة، وجعلها الخليل من الغلط[١٤٧]، وأنَّها لم تكثر كثرة توجب القياس، ولهذا رفضها المازنيُّ ولم يقبل القياس عليها[١٤٨]. وبهذا يبقى رأي د.عبده الراجحيِّ مجرَّد افتراض قابل للنقض.

أمَّا د.عبد الصبور شاهين فقد ردَّ الهمز في (الضّأَلّين) و(جأَنّ) إلى النبر ليأخذ صورة التوتر في لسان قبائل الباديّة نظرًا لشدَّة ضغط الناطق على المقطع، ودليله على هذا أنَّه لا صيغة من صيغ اشتقاق هذه الألفاظ يظهر بها همز، الأمر الذي يؤكد عنده أنَّ رمز الهمز هنا علامة للنبر لا أكثر(١٤٩). ورأي د.شاهين لا يبتعد كثيرًا عمَّن سبقه من الباحثين؛ فقد عدَّ هذا النبر مسيلة من وسائل الهروب من بعض الكراهات الثقيلة(١٥٠) التي أراها متمثِّلة بالمقطع المديد في كلمة (الضّأَلّين). ويبدو أنَّ في قول ابن جني ما يشير إلى هذا، فقد قال: "فزيد في مدة الألف، واعتُمدت وطأة المد، فكان ذلك نحوًا من تحريك الألف"(١٥١)، أي أنَّ المدَّ ينتقل بالضغط من الألف إلى الهمزة(١٥٢). وهذا يشير إلى أنَّ رأي د.شاهين كان قد أشار إليه ابن جنيِّ.

وبهذا يتضَّح أنَّ ما أصاب مثل هذه الألفاظ لا دخل له في التقاء الساكنين، وأنَّ ما حصل هو تغيِّر على المستوى المقطعيِّ وليس انتقالًا من سكون إلى حركة.

وإذا نظرنا إلى قول الباحثين يتبيَّن لنا أنَّ الثقل في المقاطع يرتكز في المصوِّتات الطويلة، فيشير هنري فليش إلى كراهة الاحتفاظ بمصوت طويل في مقطع مقفل، فيعمدون إلى تقسيمه إلى مصوتين قصيرين منفصلين بواسطة همزة(١٥٣)، ويرى د.عبد الصبور شاهين إلى أنَّ العرب تكره النطق بمقاطع مفتوحة متوالية، ومن ثمَّ لجؤوا إلى إقفال بعض هذه المقاطع بالهمزة(١٥٤).

وبعد هذا فلا نجانب الصواب إذا قلنا إنَّ المقطع الطويل المفتوح يُعدُّ من المقاطع التي تسعى العربية إلى تخفيفه أيضًا، أو قد تميل إلى التخلُّص منه متى ما أمكنها ذلك، وقد "كاد يتسع هذا عنهم"(١٥٥). وهذا يفسر لنا وجود الهمزة في مثل (خأتم) و(عألم)، فقد سعت بعض العرب إلى تقصير قمّة المقطع الطويل المفتوح إلى قصير:

/ خ ـَ / ت ـَ/ م ـُ / / خ ـَ / ت ـَ / م ـُ /

غير أنَّ هذا يخلُّ ببناء الكلمة، فأُقحَمت همزة ليتحوَّل المقطع القصير إلى طويل مغلق:

/ خ ـَ / ت ـَ / م ـُ / / خ ـَ ء/ ت ـَ / م ـُ /

ويدلُّ على هذا قول ابن جني في تفسير تخفيف الهمزة في قول الفرزدق:

راحَتْ بَمسْلَمَة البِغَالُ عشيَّةً فارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ[١٥٦]

"يريد(هنأك): فأمَّا من همز(العالم)، و(الخاتم)، و(الباز)، و(التابل) فلا يجوز على مذهبه تخفيف هذه الهمزة؛ وذلك أنَّ مذهبه أن يجتلب همزًا لا أصل له، فلا يجوز على هذا أن يخفف الهمزة فيردُّها ألفا"[١٥٧]. وكأنَّ ابن جنيٍّ يريد أن يقول: إنَّ مَن شعر بثقل المقطع الطويل في هذا الموضع فلا يجوز له الهمز.

ومن أدلَّة هذا أيضًا مجيء تخفيفه في القرآن الكريم، ومن هذا قوله تعالى: {قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} [الكهف : ٦٤]، إذ حُذِفت الياء من الفعل (نبغِ) من دون علَّة نحوية أو صرفية، إنَّما جاء لغرض دلالي أسهم فيه تحويل المقطع الطويل المفتوح إلى قصير، ممَّا يقلِّل الجهد العضلي في نطق هذا المقطع فيكون أسهل وأسرع، ممَّا ينبيء عن سرعة سيِّدنا موسى وتلهفه في الارتداد نحو المكان[١٥٨].

وأشار د.عبد الصبور شاهين إلى هذه الحقيقة أيضًا؛ فذهب إلى أنَّ بعض القبائل العربيَّة تكره الحركات الطوال، وتعمد من أجل تجنبها (أي تخفيف طولها) إلى همزها حين تكون في موقع معين[١٥٩].

ويمكن لنا بهذا التعليل الصوتيِّ أن نوجِّه قراءة ابن كثير: (السؤق)[١٦٠] في قوله تعالى: {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [ص : ٣٣]. وهذا يعني أنَّ الهمز في هذه المواضع لسان قوم من العرب، وما هو إلّا تحويل المقطع الطويل المفتوح إلى الطويل المغلق؛ لأنَّه أخف عليهم من الطويل المفتوح، وكنَّا قد أشرنا في الهمز الجائز أن العربيَّ قد استخفَّ المقطع الطويل المغلق في (رَجُلاً) واستعمله في الوقف. فاللغة العربيَّة

تتصرَّف في أنواع من مقاطعها الصوتيَّة بما يميل بها إلى الخفَّة والسهولة، ويبدو أنَّ الهمزة لها وظيفة التغيِّر في هذه المواضع والتحوِّل من الثقل إلى الخفَّة .

وقد ردَّ د.رمضان عبد التواب هذا الهمز إلى ما سمَّاه (الحذلقة في اللغة)، فيرى أنَّه بعد أن صار الهمز شعار للعربيَّة الفصحى مال العرب إلى النطق به، فأدّى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز مبالغة في التفصُّح؛ فإذا كانت (فَقَأتُ عَينَه) فصيحة، و(فَقيتُ) غير فصيحة عندهم فلا مانع من تحول (حَليتُ السُّوَيق) إلى (حَلأتَ السُّوَيق) مبالغة في التفصُّح[١٦١]. وهذا القول يمكن الاطمئنان إليه.

هوامش البحث

(١) ينظر: الكتاب:٤/٤٣٤، وسر صناعة الإعراب:١/٧٥
(٢) العين:١/٥٢
(٣) الكتاب:٤/٤٣٣
(٤) ينظر:سر صناعة الإعراب:١/٧٥ شرح المفصل:٥/٢٦٥
(٥) ينظر: دروس في علم الأصوات:٣٥
(٦) ينظر:مناهج البحث في اللغة:٩٧
(٧) ينظر:علم اللغة (محمود السعران):١٧١
(٨) ينظر:الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس):٩٠
(٩) ينظر:علم اللغة العام (الأصوات)) كمال بشر:١٤٢
(١٠) ينظر:اللهجات العربية (عبدة الراجحي):٩٥
(١١) ينظر:الألف والهمزة بين القدماء والمحدثين:٥١
(١٢) الكتاب:٣/١٤٥
(١٣) ينظر:شرح الشافية للرضي:٣/٣١)٣٢
(١٤) شرح الشافية، للرضي:٣/٣١)٣٢
(١٥) ينظر:المفصل:٤٨٩
(١٦) ينظر:شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير:٤/٢٦٣
(١٧) سر صناعة الإعراب:١/١٠٦
(١٨) ينظر: الإبدال معجم ودراسة: ١٢
(١٩) الأصول في النحو:٣/٢٤٦
(٢٠) المنصف:٣٢٦
(٢١) شرح المفصل:٣/٢٨٢)٢٨٣
(٢٢) سر صناعة الإعراب:١/١٨٠
(٢٣) ينظر:الخصائص:٢/١٤٩
(٢٤) شرح الشافية للرضي:٣/٢٠٤
(٢٥) ينظر:المنهج الصوتي للبنية العربية:١٧٢
(٢٦) ينظر:التقاء الساكنين في اللغة العربية:٥٥
(٢٧) ينظر: التقاء الساكنين في اللغة العربية:٤٨
(٢٨) ينظر:التعليل الصوتي عند العرب:٢٧٩)٢٨٠
(٢٩) ينظر:الممتع الكبير في التصريف:٣٣
(٣٠) ينظر:المنهج الصوتي للبنية العربية:١٨٥
(٣١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:١٠٥
(٣٢) ينظر: دراسات في علم أصوات العربية:٦٧
(٣٣) ينظر:التقاء الساكنين في اللغة العربية:٤٤
(٣٤) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:٨٩)٩٠
(٣٥) ينظر:التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم:٧٧
(٣٦) ينظر:العربية الفصحى:٤٨
(٣٧) الخصائص:١/٢٥٨
(٣٨) ينظر:دراسات في علم أصوات العربية:٧٧)٨٢

([٣٩]) الكتاب:٢١٤/٣
([٤٠]) ينظر:سر صناعة الإعراب:٩٨/١
([٤١]) ينظر:شرح المفصل لابن يعيش:٣٥٦/٣
([٤٢]) المنصف:١٥٥
([٤٣]) ينظر:سر صناعة الإعراب:٩٩/١
([٤٤]) ينظر:العربية الفصحى:٤٩
([٤٥]) ينظر:التطور النحوي:٧٢
([٤٦]) ينظر:القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:٨٤
([٤٧]) ينظر:الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة:٦
([٤٨]) ينظر:القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٨٧
([٤٩]) شرح الشافية للرضي:٢٨٥/٢
([٥٠]) ينظر:الدراسات اللهجية والصوتية:٣٦١
([٥١]) ينظر:الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة:١٤
([٥٢]) ينظر:التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم:٧٩
([٥٣]) ينظر:الإعلال والإبدال في الكلمة لعربية:١٤
([٥٤]) ينظر:دراسات في علم أصوات العربية:٧٧)٨٩
([٥٥]) أسرار العربية:٦٨
([٥٦]) ينظر:التطور النحوي:١١٣
([٥٧]) ينظر:المنهج الصوتي للبنية العربية:١٢٤
([٥٨]) ينظر:القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:٨١
(([٥٩]) ينظر: الإنصاف: م ١٠٩ .
([٦٠]) الكتاب:١٦٧/٤)١٧٧
([٦١]) ينظر:الممتع الكبير في التصريف:٢١٧
([٦٢]) هو زهير الفرقبي النحوي، ويقال له: زهير الكسائي، له اختيار في القراءة يروى عنه، وكان في زمن عاصم، روى عنه الحروف نعيم بن ميسرة النحوي. ينظر: طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٢٩٥
([٦٣]) ينظر:المحتسب:٨٨/١
([٦٤]) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:١٠٤
([٦٥]) ينظر:الإبدال معجم ودراسة:١٢
([٦٦]) لسان العرب:١٧/١
([٦٧]) فأمَّا تكون (مُفْعَل) من أوسَيْتُ، أو من (فُعْلى). ينظر لسان العرب:٢٢٣/٦
([٦٨]) ينظر:شرح الشافية للرضي:٢٨٥/٢
([٦٩]) ينظر:سر صناعة الإعراب:٨٨/١
([٧٠]) ينظر:شرح الشافية للرضي:٢٨٥/٢
([٧١]) ينظر:الدراسات اللهجية والصوتية:١٠٣
([٧٢]) شرح الشافية للرضي:٢٨٥/٢
([٧٣]) ينظر:التقاء الساكنين في اللغة العربية:٤٩
([٧٤]) الخصائص:١٩/٢
([٧٥]) ينظر:الخصائص:١٢٨/٣
([٧٦]) ينظر:أصوات العربية بين التحول والثبات:١٨

(٧٧) ينظر:دراسة الصوت اللغوي:٢٩٧،والتقاء الساكنين والتخلص منه:٢٥٢، وأثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم.
(٧٨) الدراسات اللهجية والصوتية:٣٦١
(٧٩) شرح الشافية للرضي:٢٨٥/٢
(٨٠) شرح المفصل:٦٧/٩
(٨١) ينظر:أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة:١٤٢
(٨٢) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية:١٧٣)١٧٤
(٨٣) ينظر:المنهج الصوتي للبنية العربية:١٧٥
(٨٤) سر صناعة الإعراب:١٤٠/٢
(٨٥) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية:١٠٤)١٠٥، والتعليل الصوتي عند العرب:٣٥١
(٨٦) مدخل إلى علم اللغة،حجازي:٦٩، وإلتقاء الساكنين والتخلص منه:٢٦٧
(٨٧) ينظر:دراسة الصوت اللغوي:٣٣٦
(٨٨) ينظر:الخصائص:١٢٧/٣، والنشر في القراءات العشر:٣١٤/١
(٨٩) الكتاب:٥٢٧/٣
(٩٠) ينظر: القراءات القرآنية،عبد الصبور شاهين:١٢٢، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:١٠٣
(٩١) ينظر:العربية الفصحى:هنري فليش:٤٥
(٩٢) فقه اللغات السامية،بروكلمان:٤٣
(٩٣) ينظر:في الأصوات اللغوية ،غالب المطلبي:٤١
(٩٤) سر صناعة الإعراب:٨٨/١
(٩٥) شرح الشافية للرضي:٢٨٥/٢
(٩٦) ينظر:الكشف عن وجوه القراءات:٦٨/١
(٩٧) ينظر:السبعة في القراءات:٤٠١
(٩٨) ينظر:أثر القراءات في الأصوات:١١٦
(٩٩) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية:١٧٥
(١٠٠) فقه اللغات السامية:٤٥، وينظر:علم الأصوات،حسام البهنساوي:١٥٥
(١٠١) المنهج الصوتي للبنية العربية:١٧٣
(١٠٢) ينظر:دراسات في فقه اللغة:١٧١)١٧٢
(١٠٣) الخصائص:١٤٥/٣
(١٠٤) ينظر:لسان العرب:١٧/١، والإبدال معجم ودراسة:١٣
(١٠٥) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٨٦/١، ودراسات في فقه اللغة:٧٨
(١٠٦) ينظر:المحتسب:٣٠٥/٢
(١٠٧) ينظر:ارتشاف الضرب:٧١٧/٢
(١٠٨) ينظر:المحتسب:١٤٧/١
(١٠٩) ينظر:البحر المحيط:٣٦٥/٥
(١١٠) ينظر:العين:٢٩٥/٣
(١١١) سر صناعة الإعراب:٨٦/١
(١١٢) شرح الشافية، ركن الدين:٤٨٦/١
(١١٣) ينظر:الممتع الكبير:٢١٤
(١١٤) ينظر:ارتشاف الضرب:٣٤٥/١
(١١٥) الخصائص:١٤٩/٣

(١١٦) سر صناعة الإعراب:٥٧/١
(١١٧) ينظر:التفكير الصوتي عند العرب:١٢
(١١٨) ينظر:أبحاث في أصوات العربية:١٣
(١١٩) ينظر:المنصف:٢٢١/١
(١٢٠) الشافية في علم التصريف:٥٦
(١٢١) الكتاب:١٩٣/٤
(١٢٢) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية:٣٢
(١٢٣) ينظر: أصوات اللغة: ١٣٨، والتشكيل الصوتي:١٣١
(١٢٤) الكتاب:٣٥١/٤
(١٢٥) الكشَّاف:١٧/١
(١٢٦) ينظر:التطور النحوي:٦٥
(١٢٧) ينظر: الهمزة المقحمة ودورها في تشكيل بنية الكلمة (بحث): ٢٠٨)٢٠٩
(١٢٨) المحتسب:٤٦/١
(١٢٩) ينظر:الدراسات اللهجية والصوتية:١٠٢
(١٣٠) ينظر: العربية الفصحى:٤٤
(١٣١) ينظر: دراسات لغوية مقارنة:٢٣٢)٢٣٥
(١٣٢) الصِّحاح :٢/ ٦٦٣
(١٣٣) ينظر: الهمزة دراسة صوتية تاريخية:٣١٣
(١٣٤) ينظر:فصول في فقه للغة:١٣٩)١٩٦
(١٣٥) ديوان الشاعر:٢٩٤، والعبيط: الدم الذي لا خلط فيه (الطري).ينظر: مقاييس اللغة:٢١٢/٤
(١٣٦) لسان العرب:٢٠٨/٤
(١٣٧) ينظر:القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:٥٦
(١٣٨) ينظر:دراسات في فقه اللغة:٢١
(١٣٩) ينظر:الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:١٠١
(١٤٠) ينظر:دراسات في علم أصوات العربية:٨٠)٨١
(١٤١) الخصائص:١٢٩/٣
(١٤٢) ينظر:شرح الشافية للرضي:٣١/٣)٣٢
(١٤٣) ينظر:الحجة في القراءات السبع:٦٤
(١٤٤) ينظر:الحجة في القراءات السبع:٩٠
(١٤٥) المزهر:٤٢١/٢
(١٤٦) ينظر: الحجة للقرَّاء السبعة:٦٨/٦
(١٤٧) ينظر:العين:٢٩٥/٣
(١٤٨) ينظر:الممتع في التصريف:٢٨١
(١٤٩) ينظر:القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:١٢٨
(١٥٠) ينظر:القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:١٢٥
(١٥١) المحتسب:٤٦/١
(١٥٢) ينظر:الإعلال والإبدال والإدغام:١٣٥
(١٥٣) ينظر:العربية الفصحى:٤٤
(١٥٤) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية:١٧٤، والقراءات القرآنية:٨٦
(١٥٥) سر صناعة الإعراب:٨٨/١

(١٥٦) البيت للفرزدق: ديوانه:٥٠٨، مسلمة: هو مسلمة بن عبد الملك، كان واليًا على العراق، فعزله يزيد بن عبد الملك واستعمل عمر بن هبيرة الفزاري، فأساء وعزل مسلمة عزلا قبيحا، ينظر:سر صناعة الإعراب:٣٠٧/٢، الهامش. راحت: راح فلان يروح رواحا من ذهابه، أو سيره بالعشي. اللسان: ٤٦٤/٢،مادة/ روح.المرتع: الموضع الذي ترتع فيه الماشية، ينظر:لسان العرب:١١٢/٨،مادة رَتَعَ.

(١٥٧) سر صناعة الإعراب:٣٠٧/٢

(١٥٨) ينظر: الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني:٢٠٩، وأثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم:٣٨٤

(١٥٩) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:٧٩

(١٦٠) ينظر: الحجة للقرَّاء السبعة:٦٨/٦

(١٦١) ينظر:التطور اللغوي:٨١

مصادر البحث
* أبحاث في أصوات العربية، د حسام النعيمي، بغداد، ١٩٨٨م.
* الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني، أبو أوس إبراهيم الشمسان، حوليات كلية الآداب جامعة الملك سعود، العدد٢٢، ٢٠٠٢م .
* الإبدال معجم ودراسة، أدما طربية، مكتبة لبنان، ٢٠٠٥م.
* أثر الانسجام الصوتي في البنية العربية في القرآن الكريم، د فدوى محمد حسان، الأردن، ٢٠١١م.
* أثر القراءات في الاصوات والنحو العربي، الدكتور عبد الصبور شاهين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
* أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د فوزي الشايب، الأردن ، ٢٠٠٤.
* ارتشاف الضرب من لسان العرب، ابوحيان الاندلسي (ت٧٤٥ هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى احمد النماس ،مطبعة النسر الذهبي بيروت، ١٩٨٤م.
* أسرار العربية، ابو البركات بن الانباري (ت٥٧٧ هـ)، عنى بتحقيقية محمد بهجت البيطار، دمشق، ١٩٣٩م.
* أصوات العربية بين التحول والثبات، الدكتور حسام سعيد النعيمي، سلسة بيت الحكمة، جامعة بعداد ،١٩٨٩م.
* أصوات اللغة، الدكتور عبد الرحمن أيوب، القاهرة ،١٩٦٣م.
* الأصوات اللغوية ،الدكتور إبراهيم أنيس ،مكتبة ألا نجلو مصرية،١٩٧٥م.
* الأصول في النحو، ابن السراج (ت٣١٦ هـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة ،بيروت،١٩٨٧م.
* الإعلال والإبدال في الكلمة العربية، د صلاح شعبان، ٢٠١٦ .
* التقاء الساكنين في العربية ، آمال الصيد بوعجيلة، لبنان، ٢٠٠٨.
* التقاء الساكنين والتخلص منه في ضوء الدرس الصوتي الحديث، د صباح عطيوي عبود، (أطروحة) كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٩٨م.
* الألف والهمزة بين القدماء والمحدثين، د رياض بن حسن الخوام ، بيروت، ٢٠٠١م.
* الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات، الأنباري (ت٥٧٧هـ): المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.
* التشكيل الصوتي في اللغة العربية ،فنولوجيا العربية –الدكتور سلمان العاني، ترجمة ياسر الملاح ،مراجعة الدكتور محمود غالي، جدة ١٩٨٣م.
* التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، د.الطيِّب البكّوش، تقديم صالح القرمادي، تونس،١٩٧٣م.
* التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د.رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٣.
* التطور النحوي اللغة العربية، برجستراسر، تعريب رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢م.
* التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، عادل نذير بيري، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٩.
* التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، هنري فليش، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مجلة المجمع العلمي القاهرة.
* الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
* الحجة في علل القراءات السبع ،ابو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) تحقيق علي النجدي وعبد الفتاح اسماعيل شلبي ،١٩٦٥م.
* دراسات في علم أصوات العربية، د داود عبده، عمان، ٢٠٠١ .
* دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، د يحيى عبابنة، دار الشروق، ٢٠٠٠م.
* دراسات لغوية مقارنة، إسماعيل أحمد عمايرة، الأردن، ٢٠٠٣م.
* الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د حسام النعيمي، بغداد، ١٩٨٠ .
* دراسة الصوت اللغوي، د أحمد مختار عمر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
* دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي، ١٩٦٦م.

* ديوان الفرزدق، شرحه علي فاعور، بيروت، ١٩٨٧م.
* السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، مصر، ١٤٠٠م.
* سر صناعة الاعراب، ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق مصطفى السقا وجماعة، مطبعة الحلبي، ١٩٥٤م.
* الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب، تحقيق حسن أحمد العثم، مكة، ١٩٩٥م.
* شرح المفصل، ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م.
* شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٧٥م.
* شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، الخوارزمي ، تحقيق العثيمين ،١٩٩٠.
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجواهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، بيروت، ١٩٨٧.
* علم الأصوات، د حسام البهنساوي ، ٢٠٠٤ .
* علم اللغة العالم قسم الاصوات، د محمد كمال بشر، دار المعارف بمصر ١٩٧١م.
* علم اللغة مقدمة للقاري العربي، الدكتور محمود السعران، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت (د.ت) .
* علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٧٢.
* العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، د هنري فليش، تعريب د عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م.
* العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق د مهدي المخزومي و د ابراهيم السامرائي ،دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
* فصول في فقه العربية، د رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٣م.
فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة د رمضان عبد التواب، الرياض ١٩٧٧م.
* في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ ن فاضل غالب المطلبي ، بغداد ن ١٩٤٨م.
* القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، القاهرة .
* الكتاب، سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٨م.
* الكشاف عن غوامض التنزيل، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، بيروت، ١٤٠٧هـ.
* الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ،مكي ابن ابي طالب القيسي ، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ، دمشق، ١٩٧٤م.
* اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبده الراجحي، ١٩٩٦م.
* لسان العرب ، ابن منظور (ت٧١١هـ) دار صادر، (د.ت).
* المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والايضاح عنها، ابن جني، تحقيق علي النجدي والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة، ١٩٦٩م.
* المدخل الى علم اصوات العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، ٢٠٠٢م.
* مدخل الى علم اللغة، د محمود فهمي حجازي، القاهرة، ١٩٧٨م.
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، بيروتن ١٩٩٨م.
* المفصل، الزمنشري، دار الجيل، بيروت ، (د. ت) .
* مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٧٩م.
* مناهج البحث في اللغة، د تمام حسان، المغرب ١٩٧٩م .
* الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.
* المنصف شرح تصريف المازني، ابن جني، ١٩٥٤م.
* المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د.عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٠م.

* النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)ن تحقيق محمد الضباع.
* الهمزة دراسة صوتية تاريخية (بحث)، صلاح الدين صالح حسنين، مجلة جامعة الامام محمد ابن سعود الإسلامية، ع ٩، ١٩٩٣.
* الهمزة المقحمة ودورها في تشكيل بنية الكلمة، دراسة في القراءات القرآنية، د يحيى عبابنة، مجلة جامعة مؤتة للبحوث والدراسات، ج١٤، ع ٥، ١٩٩٩.

Referernces

* Research in The Voices of Arabic, Dr. Hussam Al-Nuaimi, Baghdad, 1988 AD.
* Substitution to Al-Hamza and vowels in the light of the book The Secret of the Expression Industry of Ibn Jani, Abu Os Ibrahim Al-Shamsan, Annals of College of Arts, King Saud University, Issue 22, 2002 AD.
* Substitution dictionary and study, Adama Tarabiya, Library of Lebanon, 2005 AD.
* The effect of vocal harmony in the Arab structure in the Qur'an, Dr. Fadwa Mohammed Hassan, Jordan, 2011 AD.
The impact of readings on Arabic sounds and grammar, Dr. Abdul Saboor Shaheen, Edition 1st, Al-Khanji Library, Cairo, 1987 AD.
* The impact of sound laws on word building, Dr. Fawzi Al-Shayb, Jordan, 2004 AD.
* The beating of the tongue of the Arabs, Abuhayyan al-Andalusi (D 745 AH), Dr. Mustafa Ahmed Al-Namas, Golden Eagle Printing Press, Beirut, 1984 AD.
* Secrets of the Arabic language, Abu Al-Barakat bin Al-Anbari (D 577 AH), concerned with the investigation of Mohammed Bahgat Al-Bitar, Damascus, 1939 AD.
* Arab voices between transformation and stability, Dr. Hossam Saeed Al Nuaimi, Series of the House of Wisdom, University of Baghdad, 1989 AD.
* Voices of Language, Dr. Abdul Rahman Ayoub, Cairo, 1963 AD.
* Linguistic Voices, Dr. Ibrahim Anis, Library of Allanajlo Egyptian, 1975 AD.
* The origins in grammar, Ibn Al-Sarraj (D 316 AH), The Investigation of Abdul Hussein Al-Fatli. Al-Resala Foundation, Beirut, 1987 AD.
* Al-Aalal and Substitution in the Arabic Word, Dr. Salah Shaaban, 2016 AD.
* Meeting of residents in Arabic, Amal Al-Seed Bouajila, Lebanon, 2008 AD.
* Meeting and disposing of the inhabitants in the light of the modern audio lesson, Dr. Sabah Atiwi Abboud, (thesis) College of Arts, University of Baghdad, 1998 AD.
* Al-Alef and Al-Hamza between the ancients and the modern, Dr. Riad bin Hassan Al-Khoam, Beirut, 2001 AD.
* Equity in the issues of disagreement between the Basrain and Kufic grammarists: Abu Al-Barakat, Al-Anbari (D 577 AH): Modern Library, 2003 AD.
* Audio composition in Arabic language, Arabic Art, Dr. Salman Al-Ani, translated by Yasser Al-Malah, reviewed by Dr. Mahmoud Ghali, Jeddah, 1983 AD.
* Arab Discharge through Modern Phonology, Dr. Tayeb Al-Bakboush, Presented by Saleh Al-Qarmadi, Tunisia, 1973 AD.
* Linguistic development, its manifestations, its causes and its laws, Dr. Ramadan Abdel Tawab, Cairo, 1983 AD.
* Grammatical Development of Arabic Language, Bergstrasser, Arabization of Ramadan Abdul Tawab, Al-Khanji Library, Cairo, 1982 AD.
* Arabic voice explanation in the light of modern linguistics, Adel Nazir Perry, Diwan Al-San'i, 2009 AD.

* The voice thinking of the Arabs in the light of the secret of the expression industry of Arab for Ibn Jani, Henry Fleish, Arabization and realization: Abdul Saboor Shaheen, magazine of the Cairo Scientific Society.
* Characteristics: Abu Al-Fath Othman bin Jani (D 392 AH), Egyptian General Book Authority, Fourth Edition.
* The argument in the seven readings, Abu Ali Al-Farsi (D 377 AH), is an investigation by Ali Al-Najdi and Abdul Fattah Ismail Shalabi, 1965 AD.
* Studies in Arabic phonetics, D. Daoud Abdo, Amman, 2001 AD.
* Studies in Arabic philology and artology, Dr. Yahya Abana, Dar Al-Shorouk, 2000 AD.
* Comparative linguistic studies, Ismail Ahmed Amaira, Jordan, 2003.
* Audio and fume studies at Ibn Jani, Dr. Hussam Al-Nuaimi, Baghdad, 1980 AD.
* Study of linguistic sound, Dr. Ahmed Mukhtar Omar, Cairo, 2004 AD.
* Lessons in Arabic philology, Jean Cantino, transferred to Arabic by Saleh Al-Qarmadi, 1966 AD.
* Diwan Al-Faradiq, by Ali Faour, Beirut, 1987 AD.
* The Seven in readings, Ibn Mujahid, Realization Shawky Dhaif, Egypt, 1400 AD.
* The Secret of the Arab Industry, Abu Al-Fath Othman Ibn Jani, Mustafa Al-Sakka and Jamaa, Al-Halabi Press, 1954 AD.
* Al-Safia in The Science of Drainage, Ibn Al-Hajjb, The Realization of Hassan Ahmed Al-Atham, Mecca, 1995 AD.
* Explanation of the detailed, Ibn Ya'ish (D 643 AH), presented to him: Dr. Emile Badie Yaacoub, Scientific Book House, Beirut, 2001.
* Explanation of Al-Shafia Ibn Al-Hajb, Radhial Al-Din Al-Estrabadhi (D 686 AH), Investigation: Mohammed Nour Al-Hassan, Mohammed Al-Zafzaf and Mohammed Mohieddin Abdel Hamid, Beirut Scientific Books House, 1975 AD.
* Explain the detailed in the workmanship of the expression tagged with fermentation, Al-Khoarizmi, achievement of Al-Ethaimin, 1990 AD.
* Al-Sahah Taj language and Arabic Sahah, Al-Jawahiri, Investigation of Ahmed Abdel Ghafoor, Beirut, 1987 AD.
* Phonology, Dr. Hossam Al-Bahnasawi, 2004 AD.
* World Linguistics, Voices Department, Dr. Mohammed Kamal Basher, House of Knowledge, Egypt, 1971 AD.
* Linguistics introduction to The Arab Continent, Dr. Mahmoud Al-Souran, Al-Nahda Printing and Publishing House, Beirut (D.T.).
* Linguistics, Ali Abdel Wahid Wafi, Cairo, 1972 AD.
* Classical Arabic towards the construction of a new language, Dr. Henry Fleish, Arabization of Dr. Abdul Saboor Shaheen, Catholic Press, Beirut, 1966 AD.
* Al-Ain, Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (D 170 AH), Investigation of Dr. Mahdi Al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Al-Rasheed Publishing House, 1980 AD.

* Chapters in Arabic Jurisprudence, Dr. Ramadan Abdul Tawab, Al-Khanji Library, Cairo, 1983 AD.
* Semitic Philology, Carl Brockleman, translated by Dr. Ramadan Abdul Tawab, Riyadh, 1977 AD.
* In linguistic sounds, a study in the voices of The blogger Fadel Ghaleb Al-Mutalbi, Baghdad, N. 1948 AD.
* Qur'anic readings in the light of modern linguistics, Abdul Saboor Shaheen, Cairo.
* Al-Ketab, Sibuye (D 180 AH), By Abdessalam Mohamed Haroun: Al-Khanji Library, Cairo, Edition: 3rd, 1988 AD.
* Flashlight on Mysterious of Download, Al-Zamakhshari (D 538 AH), Beirut, 1407 AD.
* Disclosure of the faces of the seven readings and their arguments, Makki Ibn Abi Talib Al-Qaisi, Investigation of Dr. Muhyiddin Ramadan, Damascus, 1974 AD.
* Arabic dialects in Qur'anic readings, Abdo al-Rajhi, 1996 AD.
* Tongue of the Arabs, Ibn Manazour (T711H) Dar Sader, (D.T.).
* Calculated in the identification of the faces of homosexuals readings and clarifications, Ibn Jani, Investigation Ali Najdi and Dr. Abdel Fattah Ismail Shalabi, Cairo, 1969 AD.
* Introduction to The Science of Arabic Voices, Dr. Ghanem Kaddouri Al-Hamad, 2002 AD.
* Introduction to Linguistics, Dr. Mahmoud Fahmy Hijazi, Cairo, 1978 AD.
* Al-Muzher in linguistics and its types, Al-Suyuti, Beirutin, 1998 AD.
* Al-Detailed, Al-Seewti, Dar Al-Jil, Beirut, (DT).
* Language Standards, Ibn Faris, Investigation of Abdessalam Haroun, 1979 AD.
* Language Research Curriculum, Dr. Tammam Hassan, Morocco, 1979 AD.
* The Great Al-Momteaa in Drainage, Ibn Asfour (D 669 AH), Library of Lebanon, 1996 AD.
* Al-Moncef explained the discharge of Mazeni, Ibn Jani, 1954 AD.
* The acoustic approach of the Arab structure a new vision in the Arab exchange, Dr. Abdul Saboor Shaheen, Al-Resala Foundation, Beirut, 1980 AD.
* Publishing in the ten readings, Ibn Al-Jazari (D 833 AH)
* Al-Hamza Historical Audio Study (Research), Salaheddine Saleh Hassanein, Imam Mohammed Ibn Saud Islamic University Magazine, Edition 9th, 1993 AD.
* Al-Hamza Al-Mukhama and its role in shaping the structure of the word, a study in the Qur'anic readings, D. Yahya Abana, The Journal of The University of Moata for Research and Studies, C14, Edition 5th, 1999 AD.

Abstract

Explanation of the sound of the inverted of Alalf Hamza Between the ancients and modernists (Reasoning, Hamzah, Ghabab)

The voice lesson inherited from the sound explanation of the phenomenon of the realization of Hamza or ease, but an explanation based on the description of the phenomenon rather than research in the voice relations that govern the emergence of the investigation or mitigation, and this is contrary to the lesson of modern voice what the applicants in this regard. This research reveals the differences between the ancients and modernists in the vocal explanation of a variety of patterns of the phenomenon of the realization of Hamza. And the many issues of Hamza realized or diluted we stand in our research when the voice explanation for one of them is to achieve the Hamzah Almtalp of the millennium, and this heart acknowledged by the ancients and explained to him many Baall,

But the modernists did not approve the exchange between the Hamza and the thousand originally for their differences in output and character and therefore the modern voice explanation of this pattern of the Hamzah is different from what influenced the ancients to the difference of the angle of consideration in determining the problem of voice, and also different with the modernists themselves, many of which varied in the reinterpretation and explanation What happened to the realization of the goats in this pattern, the most recent that the heart of the millennium as mentioned by the ancients or the deletion of thousands and the fetus Hamzah as the modern or otherwise?

Keywords: Explanation of the sound, inverted, hamza, ancients, modernists .